

تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر

للعلامة المحقق المغفور له
أحمد تيمور باشا



الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠١م
جميع الحقوق محفوظة للناسر

٢٠٠٠ / ١٨٤٦٤	رقم الإيداع
977 - 5727 - 90 - 1	I. S. B. N الترقيم الدولي

٥٥ شارع محمرد طلعت من شارع الطيران - مدينة نصر

القاهرة - ت: ٢٦١٠١٦٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة عبد الله نديم أفندي

هو عبد الله بن مصباح بن إبراهيم ، الأديب الأملعي ،
والخطيب المفوه ، نادرة عصره ، وأعجوبة دهره . ولد أبوه ببلدة
الطيبة بمديرية الشرقية في شهر ذي الحجة سنة ١٢٣٤ ثم انتقل
إلى ثغر الإسكندرية ، فكان في مبتدا أمره نجارا للسفن بدار
الصناعة ، ثم اتخذ له مخبزاً لصنع الخبز ، ومات بالقاهرة في
٤ رجب سنة ١٣١٠ . وولد المترجم بالثغر المذكور في عاشر
ذي الحجة سنة ١٢٦١ ونشأ في قلة من العيش ، ومالت نفسه إلى
الأدب ، فاشتغل به واسترشد من أهله ، وطالع مكتبه ، وحضر
دروس الشيوخ بمسجد الشيخ إبراهيم باشا . وكان قليل الاعتناء
بالطلب ، غير مواظب على الدرس ، إلا أن الله وهبه ملكة
عجيبة وذكاء مفرطاً ، فبرع في الفنون الأدبية ، وكتب وترسل
ونظم الشعر والزجل ، وطارح الإخوان ، وناظر الأقران . ثم
بدأ له أن يتعلم صناعة للكسب ، فتعلم فن الإشارات البرقية ،

واستخدم في مكتب البرق بينها العسل ، ثم نقل إلى مكتب القصر
العالى ، سكن والده الخديو أيام ولاية ابنها إسماعيل باشا ، وبقي
به مدة عرف فيها كثيراً من أدباء القاهرة وشعرائها ، مثل الأمير
محمود سامى باشا البارودى ، ومحمود افندى صفوت الساعاتى ،
والشيخ أحمد وهبى . ثم غضب عليه خليل أغا ، أغا القصر ،
وكان فى سطوة لم يبلغها كافور الأخشيدى ، فأمر بضربه وفصله .
فضاقت به الحيل ورقت حاله ، حتى توصل إلى الشيخ أبى سعدة
عمدة بداوى بمديرية الدقهلية ، وأقام عنده يقرئ أولاده ، ثم
تشاحنا وأفترقا على بغضاء . واتصل بالسيد محمود الغرقاوى ، أحد
أعيان التجار بالمنصورة ، فأحسن منزله ، وفتح له حانوتا لبيع
المناديل وما أشبهها . فكانت نهاية أمره أن بدد المكسب ورأس
المال ، وجعل يجوب البلاد وافداً على أكابرها ، فيكرمون وفادته
ويهشون لمقدمه ، لما رزقه من طلاقة اللسان ، وخفة الروح ، وسرعة
الخاطر فى النظام والنثر ، فيطوف ما يطوف ثم يأوى إلى دار
الغرقاوى بالمنصورة . إلى أن ورد طنطا سنة ١٢٩٣ ، واتصل بشاهين
باشا كنج مفتش الوجه البحرى إذ ذاك ، ولاتصاله به سبب
لا بأس من ذكره : وهو أن الباشا المذكور كان بينه وبين الشيخ
محمد الجندى أحد العلماء بالمسجد الأحمدي صحبة وتزاور ، وكان
الشيخ يتعشق غلاما حلاقا ، مليح الشكل ، حسن الصوت ،

فأمره مرة أن يغنى بحضرة الباشا ، فغنى بقول المترجم :

سلوه عن الأرواح فهي ملاعبه وكفوا إذا سل المهند حاجبه
وعودوا إذا نامت أراقم شعره وولوا إذا دبت إليكم عقاربه
ولا تذكروا الأشباح بالله عنده فلو أتلف الأرواح من ذايطالبه
أراه بعيني والدموع تكاتبه ويحجب عني والفؤاد يراقبه
فهل حاجة تدني الحبيب لصبه سوى زفرة تثنى الحشا وتجازبه
فلا أنا ممن يتقيه حبيبه ولا أنا ممن بالصدود يعاتبه
ولو أن طرفي أرسل الدمع مرة سفيراً لقلبي ماتوات كتابه

وكان كثيرا ما يتغنى بها ، فطرب الباشا طربا شديدا ،
واستظرف قائل الأبيات وتمنى رؤيته ، فأرسلوا له بالحضور .
فلما حضر إلى طندتا وواجهه ، استقبح صورته ، إلا أنه أعجبه
ظرفه وأدبه ، ومال إليه ، فاتخذته نديما لا يمل ، ورفيقا حيث حل .
فلما استقرت به النوى وملاأ يده من الباشا ، استمداه على ألى سعدة
الذى كان يقرى أطفاله ، وادعى أنه أخر له ثلاثين ديناراً من
أجرة التعليم ، فأمر الباشا بإشخاصه إلى طندتا ، وألزمه أن يدفع
للمترجم مائة ، فدفعها عن يد وهو صاغر . وكان مجاس شاهين باشا
محط رحال الأديباء ومنتجع الشعراء والندماء ، لا يخلو من مطارحات
أدبية ، ومساجلات شعرية ، وللمترجم بينهم المقام الأعلى ، والقدح
المعلى . وحسبك ما وقع له مع طائفة (الأدبائية) وهم مشهورون

بالقطر المصرى يستجدون الناس فى الطرق بائشاد الأزجال
والضرب على الطبل ، وأغلب أزجالهم مرتجلة فى مقتضى الحال .
فكان للمترجم معهم يوم مشهود ، ذكره فى مجلة الأستاذ ومنها
نقلناه . قال :

« اتفق لى أنى كنت بمولد سيدى أحمد البدوى رضى الله تعالى
عنه سنة ١٢٩٤ هجرية وكان معى السيد على أبو النصر والشيخ
رمضان حلاوة والسيد محمد قاسم والشيخ أحمد أبو الفرج
الدمهورى ، فجاستنا على قهوة الصباغ نتفرج على أديب وقف يناظر
آخر ، فلما فطن أحدهما لانتقادنا عليهما استلفت أخاه إلينا وخصانا
بالكلام ، فأخذنا يمدحنا واحدا فواحدا ، إلى أن جاء دورها إلى ،
فقال أحدهما يخاطبنى :

انعم بقرشك يا جندى والا اكسنا امال يا افندى

الا أنا وحياتك عندى بقى لى شهرين طول جيعان

فقلت على سبيل المزح معه :

أما الفلوس أنا مديشى وانت تمول لى ما مشيدشى

يطلع على حشيشى أقوم أملص لك لودان

ثم أخذنا نتبادل الكلام نحو ساعة ، حتى غلبا عند ما فرغ

محفوظهما ، فلما قمنا وتوجهنا إلى منزل المرحوم شاهين باشا وكنا
نازلين عنده جميعا ، أخبره السيد على أبو النصر بما كان منى مع

الأديبين ، فلما أصبحنا استدعى شاهين باشا شيخ الأديبة وطلب منه أن يستحضر أمهر الأديبة عنده ، ووعدته أنهم إن غلبوني يعطهم ألف قرش وإن غلبتهم يضرب كل واحد منهم عشرين كرابجاً ، فرضى بذلك . واستحضر الشيخ داود والحاج إسماعيل الشهيرين بعمل الزجل وإنشاده ارتجالاً في أي غرض ، واستحضر معهما ستة من أشهر الحفظة المقتدرين على الارتجال أيضاً ، وعقد الباشا لذلك مجلساً أمام بيته بطنطا وأجلسني بينه وبين المرحوم جعفر باشا مظهر . وقد وقف الناس ألوفا والعساكر تدفعهم عنا ، ثم ابتدأ الشيخ فقال :

أول كلامي حمد الله ثم الصلاة على الهادي
ماذا تريد يا عبد الله قدام أميرنا وأسيادي

فقلت :

إني أريد احمد ربي بعد الصلاة على المختار
وإن كنت تطمع في أدبي أسمعك حسن الأشعار

فقال :

دعنا من الأءدب المشهور وادخل بنا باب الدعك
ندخل على اسيادنا بسرور وننعم الخير والبركة

فقلت :

هيا احتكم في البحر وشوف فن النديم ولا فك
دلوقت تسمع يامتخوف أحسن أدب و حياة دقنك

فقال : هات مدح في الحضرة علي قد :

تعمل عمائك يا منصان يا ابو الشفيفة العسليه
يا صاحب الحجل الرنان ودى الامور الحيليه
ماذا تريد من دى الولهان قل لى واسعف
أحسن أنا من خمر الحان قصدى أرشف
وإن كنت تسمح يا ابو الخير يبقى الوصال الدوا ليه
فقلت :

المجلس العالى محمود فيه الأمارا والاعيان
واليوم دا يوم مشهود خلعت عليه حلة إحسان
شاهين باشا فيه موجود حظو ازهر
أما المدير هذا المسعود جعفر مظهر
فانه فى الناس معدود من ضمن أرباب العرفان

(دور)

مجلس عليه حسن مهابه كأنه مجلس سلطان
والحاضرين أهل نجابه وينقدوا قول الانسان
اترك بقى شرب الغابه وانشد نسمع
وإن كان تغنى بربابه تطرب مجمع
حسن الكلام مثل سحابه تمطر على شجر البستان
فقال :

القصد منك ياندينا تعمل زجل هيله بيله

إلا أنت دلوقت غريما قصدى احدفك بالقليله
وإن كنت تجهل تقرمنا أسأل عنا
إوعا تعيب فى تكليمننا واحذر منا
أحسن أوديك لعظيمنا يشيلك ألفين شيله
فقلت :

اتنا صغار لسه نونو وفى الزجل منتش مجدع
اتبع نديم تلقى فنونو تأتلك من المعنى الأبدع
أما عظيمك وجنونو يا كل نفسه
وإن كان يعارض بمجونو يطلب عكسه
لأن فى وشجونو لكل متعنتظ يردع
وبعد أن دار الكلام بينى وبينه فى كثير من هذا الوزن ، قام
الشيخ داود وقال :

قصدى أقول كلاما يحكى لضمات الزهور هات اشجنا بنظام
من فن كان وكان ادخل بنا لمعان
كالبكر من خلف الستور فى قلب متحل
فى النظم بالإتقان
فقلت :

اسمع كلام نديم من طيه كل سرور واعقل نصيحة حبر
يدعوك للعرفان

لا تستخف بخصم لو كان من أوهى الطيور واصفح فكل صفوح
يعلو على الأعيان
واخش اللئيم دوا ما فاللؤم داع للشرور واحفظ مودة حر
فى عهده ما خان
لا تصطحب بوضيع ينزلك عن سرج الظهور واصحب أخى شريفا
واطلب رضا الإخوان
وانزل بيت كريم إن كنت ضيفا فى العبور واسمع سؤال فقير
أودى به الحرمان
هذى نصيحة حر قد جرب الدهر الجسور إن كان يعجب هذا
أولا فىخذ تبيان
فالبجر بحر لآل إن قلدت زانت النحور والفكر فكر ذكى
لا يعرف النسيان

فأعرض عن كان وكان عجزا منه ، وقال : هات فخرا على قد
ياصبا نجد ورامه هجت للمشتاق وجدا
كل صب فى غرامه ما اشتكى فى الليل سهدا
عنفونى عذبونى ذقت فى التعذيب شهدا
والهوى أحرق ضرامه كل أحشائى وقلبي
فقلت :

فخر مثلى فى بيانه والغبي يفخر بمائه

والأدب أحسن صفاتي فالذكي حسنو كماله
والليبيب يظهر بعلمو والغلام مجده جماله
كل قول المرء يفنى غير محمود المآثر
فقال:

نخر مثلي نكايته تضحك الشيخ العبوس
الحس المعنى برجلي واشرب القول بالكؤوس
لا تلم من قال حظي وائتناسي بالفـلوس
لا تقل زيد وعمرو ليس في النجو مفاخر
فقلت:

الفلوس حظ المفلس والجعيدي والحرامي
والعلوم روض الأكابري لطفها في العقل ناي
والمضاحك والمساحر مالها دخل ف كلامي
كل مضحك بين قومو مسخرة للبعد خاسر
فقال:

ساعة الحظ وحيده عند محبوب وحنان
لا أبالي يوم أنسى بالمعاني والبيبان
منتهى قصدي فلوس تملأ البيت بالأوان
إن كيسي إن كيسي مجمع الدنيا والآخر
فقلت:

كل ما في الكيس يفارق يادود أسـمع وفكـر

والفخار والمجد كلو في العلوم فاطلب ويكر
وإن تكن شيخ حق عالم فامش بين الناس وذكّر
تحى كل الناس بعلمك بل ترى المجموع شاكر
وبعد مبادلة الكلام في هذا الوزن نحو نصف ساعة، قال : هات
غزلا على قد

مدود حمارك مطر حوفي الغيظ في جنب بستان الأَمير
وان كان بجي لك لدارك اربطو في الحيط وان كان مكسرفانه يمنعك مالميط
وان كان مكسرفانه يمنعك مالميط
إوعا حمارك يا قتي إوعاه
أحسن ما تمشى على القدم
فقلت :

من يوم عرفتك والفؤاد ولهان في حسنك الزاهي النضير
والخد من دمع العيون ريان تجرى عليه كالغدير
أبيت ليلي بالأرق سهران بين الكراسي والسرير
وكل وردى في الدجى آه آه من يستطع من يصبر

(دور)

قلبي المعذب في لهيب الحدود والوجد في الأحشا جحيم
بالله من أوراك باب الصدود لقتل مضناك العديم
أين الوفا يامنيتي بالوعود ورقة القلب الرجيم
أواه من نار الجفا أواه لو يعشق الريم يعذر

(دور)

قد كان في سعد السعود خدام لما التقينا في الطريق
وقلت بالحاجب أروح قدام وانت ورايا يا صديق
فصرت أنظر للقوام القوام وعادل القدر الشيق
حتى ملكت الروح واروحاه لو يرجع اليوم ينظر

(دور)

قال المدائح عاشقني ما الحال جفني جرح منك الفؤاد
كم من شجى مثلك سباه الحال حتى غدا خصم الرقاد
قلت ارحموا من في التصاني مال عن كل أبواب الرشاد
قال ان ترم مني الوصال وصفاه هات اليمين الأكبر
ثم طلبت منه أن يأتي باليمين من هذا الوزن فوقف، فقصدت
الحاج اسماعيل فوقف، فطلبت من الستة فوقفوا، فقال المرحوم
شاهين باشا: نحسبها لك واحدة. ثم قال الشيخ: هات غزلا بمعنى
بديع على قد :

أهيف رشقني بقوام مثل المران والوجد عذبي بناره
فقلت له: أقول تحميلة، وتقولون أخرى من جنسها. فقال: هات.
فقلت:

يا اهل الصبا يا عاشاق سلوا المشتاق فالعشق ماله غير أهله
فوقف الجميع، ولم يستطع واحد منهم الدخول معي في هذا

المضيق . فقلت ومشيت إلى آخر الأُدوار الآتية :

اشكو إليكم أحزاني	بل هجراني	من أهيف صادني نبلة
أهيف بنظره في خده	خدي عبده	وجت سقامي تشهد له
وأدمعي نزلت تجري	تنظر صدى	رأت فؤادي يبرق له
قالت لو اتلفت عيوني	قال سيبوني	سيد الملاح يعرف شغله
مادمت إني في رقه	ياخذ حقه	وان مال يعتقني من أصله
أنا خديم ولا أكثر	الله أكبر	العشق ما ينكر فضله
العشق ترياق الأرواح	ويا الأَشباح	ونا الذي طاب لي نهله
ما يعرف العشق الأجلاف	ياهل الانصاف	ما للعذول يكثر عزله
عاقل رأى مجنون يشرب	حتى يطرب	فراح شعوره مع عقله
ومال لعذلي يتفرج	بل يدرج	للعشق لما حان قتله
ظن الغرام قصعة فته	فوقها حته	من لحم قد طاب له أكله
لما رآه سلب الألباب	خاف الأسباب	وراح يعضعض في نعله
وصرت وحدي متهنى	أفضل اغنى	للحب إن شخشيخ حمله
أرعى النجوم والنار تكوى	قلبي المشوى	والوجد كتفى بحمله
قد بعث روحى للفتان	من غير أثمان	وبعت ملكى من أجله
كيف الخلاص والقلب كسير	والصب أسير	والجفن يجر حنى بنصله
والشهد في ثغر المحبوب	هو المطلوب	لكن أخاف قرصة نحلة
خالو يلوح كالشمسية	في الظهيرية	والخد نايم في ظله
عزمت وجدى يتعشى	جو الأَحشا	فجه يخيله مع رجله

والصدر وسع له النادى يا أسيادى والكبد قامت تطبخ له
والعين كبت خمرتها من فرحتها والقلب قابلنا بطبله
قعد وربيع فى صدرى والنار تجرى مثل الصوارىخ من حوله
لما رأى روحى وجدى أتلف كبدى بعث رساله مع رسله
يقول يا مسكين مالك بـيّن حالك عسى يكون عندى حله
فقلت يا سيدي عبدك من نار خدك حرق اللهب جسمه كله
أخذت حبيب قلبى النخره بعد القسوه وجا يغازلى بدله
خطر ولكن فى قاي بهجة لى وجاد لمسكينو بوصله
من فرحتى هروا ابكى من غير ما شكى والدمع من كتر وبلته
حركت قلبه للرحمه من دى الفحمة فجاد يياسمينو وفله
فقلت أحييت الفانى يا إنسانى الله يجازيك بفضله
وكان ما يرجو للعاشق غير الفاسق والسر لا يحسن نقله
وإلى هنا صفق الباشا والحاضرون، ثم عدنا للزجل المعتاد بما يطول
ذكره، فان الشيخ رمضان كتب من زجل هذا المجلس خمسة
كراريس، وكله محفوظ عندنا لم يضع منه شيء. وقد استمرت المناظرة
ثلاث ساعات « انتهى ما نقلته من الأستاذ، ولقد سألت بعض من
حضر هذا المجلس عما كتبه المترجم، فأناكره، وأخبرني أنه تعالى فيما
كتب. وذكر أنا سالم يكونوا حاضريه. والله تعالى أعلم
ثم اتصل المترجم بالبيك التتويجى فجعله وكيلا على ضياعه،
وما زال حتى لحق بالإسكندرية مسقط رأسه، ومنبت غرسه، وكان
منه ما سنقضه عليك

تلك خلاصة ترجمته في أول أمره ، ومبتدا خبره . وكان القطر
المصرى في تلك الأثناء في اضطراب وهرج ومرج من اختلال
الأحوال وفساد الحكام واعتلاء الأفرنج على الأهلين ، وقد سئم
الناس حكم إسماعيل باشا وتمنوا زوال دولته . فلما وفد المترجم
على الثغر رأى لفيفا من الشبان ألفوا جمعية سموها « بمصر الفتاة »
يتآمرون فيها سرا خوفا من بطش الخديو ، فعرف منهم البعض ،
واشتغل بالكتابة في صحف الأخبار ، فأعجب الكتاب بمقالاته
واقصدوا به في تحسين الإنشاء ، وكان سقيما منحطاً في ذلك العهد . ثم
سعى مع جمع من الأدباء فآلفوا جمعية سموها « بالجمعية الخيرية
الاسلامية » سنة ١٢٩٦ آخر سنة إسماعيل باشا في الحكم ، وجعلوه
مدير مدرستها . ثم عزل الخديو وتولى ابنه توفيق باشا . ففرح الناس
وظنوا انفراج الأزمة . وجد المترجم واجتهد في إنجاح مسعاه
في الجمعية ، حتى حمل الخديو على زيارة مدرستها ، فزارها يوم امتحان
تلاميذها ، وجعلها في حماية ولي عهده عباس بيك ، وأنعم لهم بالمدرسة
البحرية يدرسون بها ، وأجروا عليها من الحكومة مائتين وخمسين
دينارا في السنة مساعدة . وطفق المترجم يؤلف القلوب ويحض
الأهلين على الالتئام بالمقالات والخطب ينقشها قلمه ولسانه ،
وألف قصة سماها : « الوطن وطالع التوفيق » وأخرى سماها :
« العرب » شرح فيهما ما كانت عليه حالة القطر وما طرأ عليه ،

ثم مثلهما هو وتلاميذه بأحد ملاعب الشجر بحضور الخديو ، فكان لهما تأثير كبير في النفوس ، واشتهر المترجم وعلا كعبه ، ولهج الناس بذكره . ثم طرأ فساد على الجمعية نسبوه إليه فانفصل منها . وكان شرع في إنشاء صحيفة سماها « التنكيت والتبكيت » مزج فيها الهزل بالجد ، ظهر أول عدد منها في ١٨ رجب سنة ١٢٩٨ ، وظهر في أثناء ذلك وميض الثورة العرابية من خلل الرماد ، فوافقت هوى في نفس المترجم لميله إلى الشهرة وبعد الصيت ، فضموه إليهم وشدوا أزرهم به ، فملاً صحيفته بمحامدهم ، ودعا إلى القيام بناصرهم ، وخطب الخطب المهيجة ، ونظم القصائد الحماسية ، وندب الوطن وورثاه ، وحض على الاجتماع والتكاتف ونبذ أضراليل الأفرنج ، فأثرت قائلته في النفوس وأشرتها القلوب . وادعى الشرف ، وانتسب إلى الإمام الحسن السبط رضى الله عنه ، والله أعلم بتلك النسبة ، فقد رأيت كثيرين ممن عرفوه ينكرونها . ثم أوقف صحيفته بعد أن ظهر منها ثمانية عشر عددا آخرها تاريخه ٢٣ ذى القعدة سنة ١٢٩٨ ، وكانت أسبوعية تظهر يوم الأحد . وانتقل إلى القاهرة وهى جذوة من نار ، وغير اسم صحيفته بأمر عرابي باشا كبير الثوار فسماها « الطائف » تيمنا باسم بلدة بالحجاز مشهورة ، وتقاولا بأنها تطوف المسكونة كما جابتها جوائب أحمد فارس . واسترسل

المرجم مع رجال الثورة حتى صار جُنْدِيلَهَا المحكك ، و غُنْدِيْقَهَا المرجب ، ولقبوه بـنخطيب الحزب الوطنى . وقام سرارة القطر وأعيانه يعقدون المجتمعات ويولمون الولائم للعرايين ، ويدعون المترجم للخطابة ، فكانت له بها المواقف المشهودة ، والأيام المعدودة ، حتى استفحل الأمر وقامت الحرب بالإسكندرية بين الإنكليز والمصريين يوم الثلاثاء ٢٥ شعبان سنة ١٢٩٩ . فسافر المترجم إليها مع جماعة من رؤساء الجند وبات بها ليلة ، ثم لحق بعرابى باشا وقد انهزم إلى كفر الدوار ، ثم انتقل معه إلى التل الكبير وهو ينشئ صحيفة الطائف بالمعسكر ، فيضمنها أخبار الانتصار ، ويحشوها بالأكاذيب تهدئة للأفكار ، حتى وقعت الهزيمة الكبرى على المصريين بالتل الكبير ، ففر عرابى باشا وعلى باشا الروبى ومعهما المترجم إلى القاهرة يوم الأربعاء ٢٩ شوال من السنة المذكورة ، واتفقوا على إرساله إلى الإسكندرية بكتاب يطلبون به العفو من الخديو فسافر به يوم الخميس ، ولما وصل إلى كفر الدوار بلغه القبض على زعماء الثورة ودخول الإنكليز القاهرة . فعاد إليها ليلا وبقي فى داره بجهة العشماوى إلى الصباح ، وخرج مع والده وخادمه فركبوا عجلة وقصدوا بولاق ، ورآه شاهين أفندى فؤاد المفتش بالمصرف العقارى ، وهو من ممالك عباس باشا والى مصر ، فظنه غير مطلوب ، قال : ولولا ذلك لقبضت عليه . فلما وصلوا إلى بولاق ودعه أبوه

واختفى هو وخادمه ولم يظهر لهما أثر . فأقام مختفياً نحو تسعة أعوام لا يهتدى إلى مكانه ، وقد أعيا الحكومة المصرية أمره حتى جعلوا ألف دينار لمن يرشد إليه ، وبثوا عليه العيون فلم يظفروا منه بطائل ، فلما أعتبهم الحيل حكموا عليه بالنفي مدة حياته من القطر المصري ، ويئس أصحابه من وجوده ، وأشيع القبض عليه وخنقه سرا ، ومنهم من أشاع موته حتف أنفه ، ومنهم من أشاع هربه إلى بلاد الأفرنج ، فعد اختفاؤه من الأمور الغريبة . ولا غرو فأمره غريب من أوله وكان من خبر اختفائه أنه لما ودع أباه ببو لاق قصد دار الشيخ مصطفى (١) أحد أصدقائه فأقام بها أياما ، ثم غير زيه فلبس ثوبا من الصوف الأحمر المسمى بالزعبوط واعتم بعمامة حمراء وسدل على عينيه منديلا ، وأحفى شاربيه وأعفى لحيته حتى تغيرت هيئته ، ثم نزل مع خادمه في سفينة قاصدة بنها ، ثم انتقل منها ووصل إلى بلدة تسمى منية الفرقى بقرب طنجا ، وقصد رجلا من مشايخ الطريقة الصاوية كان أخذ عليه العهد في السلوك اسمه الشيخ شحاته القصبى ، وكان مشهورا بين الناس بالصلاح والتقوى ، فلما دخل عليه لم يعرفه لتغير شكله ، فجلس هنيهة حتى انصرف من المجلس ، ثم اختلى به وعرفه حاله ، وأقام عنده ثلاثا ، ثم أشار عليه الشيخ بالانتقال واعتذر بكثرة الواردن ، فتحول إلى دار أحد دراويش الشيخ الموثوق بهم ، فأواه شهرا ، ثم

(١) ترك المؤلف فراغا قليلا ، لئلا كان يريد ملامه بتكملة الاسم

قصد بلدة أخرى وطوحت به الطوائح ولقى الأهل . وحدث انه نزل مرة مختفيا عند قوم فأخفوه في قاعة مظلمة يتساوى بها الليل والنهار . ويتوصل إليها من سرداب طويل شديد الظلمة ، وكانت أرضها ترشح الماء لانخفاضها وقربها من خليج مار بجانب تلك البلدة ، وكان لا يتمكن من الكتابة والمطالعة إلا على مصباح صغير من زيت الحجر المسمى بالغاز أو الجاز كثير الدخان ، فقاسى الشدائد بهذا المكان تسعة أشهر ، ولما خرج منه كاد لا يبصر الطريق لما غشى عينيه . وكان كلما حل أو ارتحل يغير اسمه وحليته ، فتارة يبخر لحيته بالكبريت حتى تبيض ، ويخضبها بالحناء أخرى . وكان اسم خادمه حسينا ، فسماه صالحا وخفى أمره على الناس . وظنوه شيخا من الصلحاء ، حتى لقي مرة بعض من يخشاه وحدثه فستره الله وشمله بعنايته حتى فارقه . ثم ألت به يد الأقدار إلى بلدة تسمى العتوة القبلية بمديرية الغربية ، فاخفى عند عمدتها الشيخ محمد الهمشري فأكرم مشواه وأقام في داره ثلاث سنوات ونيفا تزوج فيها وولدت له بنت وماتت ولم يشعر به أحد ، وزوج خادمه حسينا بأخت زوجته ، ثم مات في أثناءها رب الدار وكان شهبا ذا مروءة كبيرة ، وله امرأة مثله شهامة ومروءة ، فاستحضرت أكبر أولادها وأعلمته أن ضيفهم المختفى عندهم هو عبدالله نديم طريد الحكومة . وسألته هل يطمع في الجعل ويسلمه أم يكون كأبيه في حفظ الجار

وحماية الذمار؟ فاهتز الولد لقولها وأبى إلا أن يقتدى بأبيه في الكرم .
ولعمري إن ما أتته تلك الأسرة من مكارم الأخلاق وعلو الهمة
لما يندر مثله في هذا الزمن . وتنقل المترجم من بلد إلى بلد ، وماتت
زوجته . ثم ذهب إلى القرشية نزىلا عند أحمد باشا المنشاوي ، فكان
يجتمع به صديقه القديم الأديب الأريب محمد افندي التميمي
وغيره ، وتزوج هناك ببنت مصطفى مئني من أهل المحلة الكبرى ، إلا
أنه لم يحمدا المقام فانتقل إلى دار التميمي في شهر ذي القعدة سنة
١٣٠٥ فأقام بها شهرا . ثم سافر إلى الدلجون بمديرية البحيرة ، فلم يمكث
بها إلا نحو أسبوع . وعاد إلى الغربية وقصد البكاتوش فكان يقيم
تارة عند عمدها الشيخ ابراهيم حرفوش وينتقل تارة إلى دار جاره
أحمد جوده ، وكان رجلا قوي الجنان لا يتألى بظلام الليل أنى سار
فيه . فصار يصحب المترجم إذا أراد الانتقال من بلد إلى بلد في الليل
الحالك ، وتجلسم معه أضيق المسالك . وجعل المترجم إقامته بين
البكاتوش وشباس الشهداء ينزل فيها عند محمد معبد الحلاق فيلقى
عنده من الكرم والمروءة ما لقيه إبراهيم بن المهدي عند ذلك
الحلاق المشهور مدة اختفائه من المأمون . ولم يزل المترجم حتى انتقل
عند صديقه وصديقنا الأديب الكامل والشاعر الناثر محمد افندي
شكري المبكي كاتب المركز بدسوق . أخبرني الأديب المذكور
قال : بينما أنا بالمركز يوما إذ دخل على الشيخ إبراهيم حرفوش

عمدة البكاتوش فسلم وجلس ، ولحمت منه أنه يريد أن يسر إلى امرأ
فترقب خلو المكان ، ثم أخبرني أن شخصا عنده مشتاق إلى ، وهو
صديق لي لم يرني منذ ثمان سنوات ، فاستخبرته عنه فانصرف ولم
يخبرني به . ثم صار يتردد على بعد ذلك يذاكرني في هذا الصديق
ولاييوح باسمه ، حتى وثق مني ، فأخبرني أنه مخنف واسمه عبدالله
فقلت : لعله عبدالله نديم ، فقال : نعم هو . فكتبت له بيتين من نظمي ،
وسألته توصيلهما إليه ، وهما :

ولقد نذرت إذا لقيتك سالما لأقبلن مواطئ الأقدام
ولأثنين على سجايك التي حثت على التحرير والإقدام

فذهب بهما ، وعاد لي بعد يومين بقصيدة من نظم المترجم بخطه
عدتها مائة بيت من البحر والقافية ، يتشوق فيها إلى ويذكر مالاقيه
أيام الثورة والاختفاء ، ويتمنى لو فرج الله عنه فيفعل كيت وكيت ،
وكأنه نسي نفسه وما هو فيه من الضيق ، فكتبت له أبياتا أطلب
الاجتماع به . وبعد أسبوع حضر لي إبراهيم حرفوش ومعه ورقة
بخط المترجم يطلبني فيها إليه يوم الجمعة بشباس الشهداء ، فذهبت في
الميعاد فوجدت محمد معبد الحلاق ينتظرنني ، فذهب بي إلى داره وهي
دار صغيرة على تل ، وقد أنزلوا المترجم في مكان عال لاسلم له ،
فصعدت إليه على سلم من الخشب رفجوه بعد صعودي ، فلما التقينا
ووقعت العين على العين تعانقنا طويلا ، وأدركتني عليه شفقة فقبات

يده ، ثم جلسنا نتحدث في القديم والحديث ، وأطلعني على كتبه التي ألفها مدة الاختفاء ، منها بديعية له شرحها شرح الطيفالم يكمله ، وثلاثة دواوين من نظمه ، وجزء من كان ويكون ، ثم فارقت وقت العصر . انتهى

وانتقل المترجم عند صديقه المذكور بزوجه وكتبه مدعيا أنه ابن عمه أتاه زائرا من الحجاز ، وسمى نفسه عليا البني ، فمكث نحو ستة أشهر . ثم انتقل بمفرده إلى شباس الشهداء ولحقت به زوجته بعد عشرين يوما . ثم أعادها بعد خمسة وعشرين يوما إلى دار شكرى أفندي بدسوق ولحقها فمكثا ستة أشهر أخرى ، ثم عاد إلى البكاتوش عند أحمد جوده وكانت زوجته هذه تسمى إليه وتغاضبه فجمعت عليه مع ضيق الاختفاء سوء معاشرة الأهل ، حتى ضاق ذرعه منها مرة وهم باظهار نفسه للحكومة ثم تراجع وأصلح أمره معها ، ولكمته مرة على فقه فكادت تسقط ثنيتيه من الفك الأعلى ، فربطها بخيط من الحرير . وكان خادمه حسين محتفيا مع زوجته ببلدة الجميزة التابعة لمركز السنطة فطلبت زوجة المترجم الذهاب إليه فأذن لها ، فلما استقرت عنده تشاحت مع زوجته وكادا الأمر يفضح ، فأسرع الخادم لسيدته بالبكاتوش مستغيثا ، فانتقل المترجم إلى الجميزة وأصلح بينهما ، وبقي هناك نحو شهرين فاستأنس وطاب له المقام ، وعرفه عمدة البلدة فتغاضى عنه وكتب أمره ، فكان يخرج للتنزه على غير عادته في الاختفاء

فيلتف عليه العمدة وبعض أناس من البلدة، وهو يقرأ لهم ويعظهم
ويسامرهم وهم مبتهجون به
وكان يتردد على البلدة رجل يقال له حسن الفرارجي كان منتظماً في
العسكر، ثم استخدم جاسوساً سورياً، فلما بصر بالمرجم (١) أنكر
حاله لما رآه عليه من سيما الاختفاء، ورجح أنه عبد الله نديم، فكتب
إلى الديوان الخديوي ينبئهم بوجود رجل من العرايين محتف
بالجميزة، وأسرع إلى ديوان الداخلية فأوضح لهم أمره، فأعطوه
ورقة بحليته، فلما تحقق منه أخبرهم به، فأمروا بالقبض عليه،
وحضر من المديرية محمد أفندي فريد وكيل (الحكمدار) ومعه
نفر من الشرطة سترتوا ملابسهم بثياب أخرى، فأحاط بعضهم
بالبلدة متفرقين، وصعد وكيل (الحكمدار) مع الآخرين على تل
مشرف على أفنية الدور، وأحس المترجم بتلك الحركة، فأوجس
في نفسه خيفة، وأراد الانتقال إلى دار أخرى فأخذ عيبته على كتفه
وصعد على سطح المكان، فأبصره الذين على التل، فصاحوا وصوبوا
بنادقهم عليه، وأمروه بالنزول فنزل، ثم أحاطوا بالدار، وطارقوا
الباب طرقة عنيفاً، وأيقن المترجم أنه مأخوذ لا محالة، ففتح لهم،
وواجههم متجلداً، فسأله محمد أفندي فريد عن اسمه فقال له :
سبحان الله، أتجهل اسمي وأنت مأمور بالقبض علي، أنا عبد الله
نديم، ذو الذنب العظيم، وعفو مولاي الخديو أعظم، سلمت أمري

(١) تحت هذه الكلمة خط، وبالهامش : فأبصر رجلاً . وأغلب الظن أنه تغيير
من بعض من نظروا في المخطوطة

لله . فقبضوه هو وخادمه ، وأعماهم الله عن كتبه وأوراقه ، ولولا ذلك لأصابه شر عظيم بسبب أهاجيه القبيحة في الخديو وأسرته ، وكان القبض عليه في ٢٩ صفر سنة ١٣٠٩ ، ولم ينل الواشى به شيئا من الجعل لفوات الأجل المضروب للمكافأة ، ثم استاقوهما إلى المركز ، وسألوه عن اختفى عندهم ، فلم يقر بأحد ، وسألوا خادمه وضربوه ، فأقر البعض ، ونقلوهما إلى المديرية بطندتا ، فسجنا بعض أيام ، ووكيل النيابة بالمحاكم يوالى سؤالهما ، وانتهى الأمر بعفو الخديو عنه وعن آواه ، ونفيه خارج القطر

فاختار يافا ثغر القدس الشريف ، ووصلها في غروب يوم الجمعة ١٢ ربيع الأول ، ونزل عند السيد على أفندى أبى المواهب مفتيها ، ولما دخل داره وعرفه بنفسه ، قام واعتنقه ، وضحك وبكى . فأقام عنده شهراً ، ثم اتخذ له دارا ، وعرفه أعيانها وفضلائها ، وأكرموه وواسوه ، جزاهم الله خيراً . ثم رحل رحلته إلى نابلس وسبطينة وقلقيا وغيرها من البلاد الفلسطينية . واجتمع بطائفة السامرة واطلع على كتبهم ومعتقداتهم كما رأته بخطه في كتاب أرسله لأحد أصدقائه في مستهل رمضان . ولم يزل مقيما بيافا حتى مات الخديو وتولى ولده عباس باشا في جمادى الثانية ، فعفا عنه وأباح له العود إلى مصر . قال في آخر ذلك الكتاب : «عزنا على الحضور بعد العيد إن شاء الله تعالى ، فإن موسم سيدنا موسى الكليم يعمل في نصف

شوال ، ولأحضر حتى أزوره مرة ثانية ، فإنه صاحب الأمر بالعبو
عنى ، وإن كان الظاهر خلافه ، وذلك أنى عند دخولى حضرته
الشريفة أنشدته فى الحال :

رجوتك يا كليم الله حاجا أرجيها وقد حققت فضلك
فقل لى مثلما لك قبل أوحى إله الخلق قد أوتيت سؤالك
فرأيته ليلا يقول لى (قم رَوِّح) ثلاثا ، وكانت ليلة ٣ رجب
وهو تاريخ صدور الأمر . انتهى ما نقلته من خطه
ولما عاد إلى مصر استوطن القاهرة ، وأنشأ مجلة الأستاذ فى
شهر صفر سنة ١٣١٠ ، فبرزت موشحة ببديع مقالاته وغرر أزجاله
وموشحاته . وبدت الوحشة فى أثناء ذلك بين الخديو والإنكليز ،
وكان ما كان من عزله صنيعتهم مصطفى فهمى باشا كبير الوزراء ،
ومعاكستهم فيما يريدون . فقام المترجم يستنهض الهمم ويحض على
موازرة الخديو ونبد طاعة سواه ، وكتب فى ذلك المقالات الطويلة
بالأستاذ حتى أحفظ الإنكليز ، وخشوا من اتساع الخرق لمكاتبته
السابقة من النفوس ، وسعى حساده بما سعوا ، ولفقوا مالفقوا ،
فأوقفوا مجلته فى شهر ذى القعدة من السنة المذكورة ، وأعادوه إلى يافا
منفيا بعد أن أعطوه أربعائة دينار ، وأجروا عليه خمسة وعشرين
كل شهر ، واشترطوا أن لا يكتب بشأن مصر كلمة ، ولم ينفعه
الخديو لقصص يده

فلما استقر المترجم بيافا لم يسلم من السعاية به لدى السلطان ،

فأمر بإبعاده فعاد إلى إسكندرية متحيراً ، ولقد لفظته البلاد لفظ
النواة ، فسعى له الغازي أحمد مختار باشا وساعده حتى قبله السلطان
المعظم عبد الحميد بدار السلطنة ، واستخدمه في ديوان المعارف
ووظف له خمسة وأربعين ديناراً مجيدياً في الشهر ، فأمضى بها بقية
أيامه شريداً عن وطنه ، بعيداً عن أهله وخلانته ، حتى اشتدت عليه علة
السل ، فلقي حمامه في الرابع من شهر جمادى الأولى سنة ١٣١٤

وودفن بمقبرة يحيى أفندي في بشكطاش ، وضاعت مؤلفاته
ودواوينه ، ولم يظهر منها إلا جزء من « كان ويكون » كان يطبعه
ذيلاً للأستاذ ، وكتاب آخر نسبوه إليه اسمه « المسامير » محشو
بالهجو القبيح في الشيخ أبي الهدى الصيادي نزيل دار السلطنة ،
فمضى وكأنه لم يكن ، رحمه الله رحمة واسعة .

ومن تأمل بعين الاتعاض في تقلب الأحوال بالترجم ، وماذاقه من
حلو الزمان ومره ، وقاساه مدة الاختفاء ، ثم النفي حتى مات غريباً
طريداً ، حق له العجب ، وعرف كيف يعبت الزمان بأهل الفضل
من بنيه .

ونشأ المترجم فقيراً كما قدمنا ، وعاش في قلة ، فان أصاب شيئاً بدده
بالإسراف . وكان في أول أمره يرتدى الثياب الأفرنجية المألوفة ،
فلما ظهر بعد الاختفاء لبس الجبة والقفطان ، واعتم بعمامة خضراء
إشارة إلى الشرف . وكان شهياً الحديث حلو الفكاهة ، إذا أوجز ود
المحدث أنه لم يوجز . لقيته مرة في آخر إقاماته بمصر فرأيت رجلاً

في ذكاء إياس ، وفصاحة سحبان ، وقبح الجاحظ . أما شعره فأقل من نثره ، ونثره أقل من لسانه ، ولسانه الغاية القصوى في عصرنا هذا ، وقد انتخب أخوه عبد الفتاح افندي جملة صالحة من مقالاته ، جمعها في كتاب سماه « سلافة النديم » فارجع إليه إن شئت .

ونحن ذاكرون من شعره ما يحتمله هذا المختصر ، فمن ذلك مرثيته في الخديو محمد توفيق باشا وقد أشار إليها في كتاب أرسل به من يافا في ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٠٩ يقول فيه : « غمى وكبرنى موت الحضرة الخديوية لأ مور : (أولا) فلغفوه عنى وإحسانه إلى (ثانيا) لسابقة معروفة معى وتوجهاته السابقة ، (ثالثا) لصغر سنه (رابعا) لصغر سن أنجاله ، (خامسا) لصغر سن حرمه وما تقاسيه من حزنها عليه لما كان بينهما من شدة الألفة والمحبة (سادسا) لأنه كان برزخا بين مصر وبين نكبات انكلترة وغيرها ، والله تعالى يجرى الأمور على السداد ، وسأبعث بمرثية رنانة لحضرة ولدى مصطفى بك ماهر رئيس ترجمة ديوان الحربية ليطبعتها وينشرها على حدتها » انتهى ما نقلته من خطه ، ولم أقف إلا على ثلاثة أبيات منها ، ذكرها المترجم بالأستاذ وهي :

مالكواكب لا ترى في المرصد والكون أصبح في لباس أسود
عم الكسوف الكل أم فقد الضيا أم كنا يرنو بمقلة أرمود

وتاريخها :

فملائك الجنات قالت أرخو توفيق في عز النعيم السرمدي

١٣٠٩

ومن مختار شعره قوله من قصيدة لم نعثر منها إلا على هذا القدر :
سيوف الثنا تصدا ومقولى الغمد ومن سار فى نصرى تكفله الحمد
ومنها :

ومن عجب الأيام شههم أخو حجا يعارضه غر ويفحمه وغد
ومن غرر الأخلق أن تهدر الدما لتحفظ أعراض تكفلها المجد
ويقال إنه نظمها بحضرة شاهين باشا تبكيتا لمن زعم قصور
الشعراء عن معارضة أبى الطيب المتنبى فى قوله :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته بد
قلت : بين القولين فرق ظاهر للمتأمل . وأين الثريا من يد المتناول ؟
ومن شعره قوله أيام اختفائه ، وكتب بها إلى صديق له يسليه
على نازلة نزلت به :

يا صاحبي دع عنك قول الهازل واسمع نصيحة عارف بالحاصل
اجهل تجدد صفو الزمان فانه من قسمة القدم الغبي الجاهل
ودع التعقل بالتغفل يستقم أمر المعاش فحظه للغافل
وارض البلادة تغتم من بابها مالا وجاها بعد ذكر خامل
وإذا أبيت سوى العلوم فلا تضق بحروب دهر لا يميل لفاضل

قلب تواريخ الألى سبقوا تجد
تجد الأفاضل فى الزوايا كلهم
العلم ستر كالسحاب به ترى
هل أبصرت عيناك ديوانا به
إن قلت إى فاذا كر لنا من ناله
ضدان لا تلقاهما فى واحد
ثم ذيلها بنثر أضر بنا عن ذكره .

ومنه قوله وضمنها كتابا كتبه مدة اختفائه لأحد أصدقائه :
وبعد فهذا شرح حالة غائب
تدور به الأهوال حول مدارها
عسى فرج يأتى به الله إنه
دنياك ما قيدت بغير الباطل
حال الحياة وبعدها بمحافل
شمس الحقيقة خلف ذاك الحائل
مدح البليغ جميل سعد حافل
أولا فعش كالناس فى ذا الساحل
مال الغنى وحكمة للكامل

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد
الأنبياء والمرسلين
أجمعين

ترجمة

سلطان باشا

هو محمد باشا ابن سلطان بن أحمد ، من قرية بالصعيد تسمى زاوية الأموات ، بالجانب الشرقي من النيل ، تجاه منية ابن الخصيب ولد بها سنة ١٢٤٠ أو إحدى وأربعين . ورباه أبوه فسلمه للمعلم للقرآن بالقرية علمه القراءة والكتابة ، وحفظه ما تيسر من القرآن الشريف . ولما بلغ أشده تركه أبوه ينظر في أمور القرية المذكورة ، إلى أن نقل حسن باشا الشريعي من نظارة قسم قلو صنا ، في ولاية محمد سعيد باشا على مصر ، فسأله الوالى عن يقيمه بدله على القسم المذكور ، فذكر له المترجم ، وأثنى عليه ، وضمن كفايته ، فأقيم ناظراً لهذا القسم مدة ثلاث سنوات . ثم جعله سعيد باشا وكيلاً لمديرية بنى سويف ، وبعد سنتين جعله مديراً لها ، فبقى فيها إلى أن توفي سعيد باشا ، وتولى ابن أخيه إسماعيل باشا ، فنقل المترجم مديراً للغربية فمكث بها نحو سنة ، ثم أمر بنقله مديراً لآسيوط فأقام بها نحو سنتين ، ثم جعله وكيلاً لإدارة تفتيش الوجه القبلي ، ثم أحال عليه النظر فى ضياعه التى بالصعيد المسماة بالجفالك ، ثم جعله مفتشاً على مديريات الوجه القبلي ، وانحرف عنه فى أثناء ذلك عكوش باشا ، وشاهين باشا ، وعظمت الوحشة بينه وبينهما فوجد

حاسدوه فرصة للايقاع به نظرا لمكانة الرجلين عند الخديو، فسعوا به عنده ووشوا له بأمر عنه كان يكرها، فغضب عليه وأمر بسفره إلى السودان رئيسا لمجلس الخرطوم، وهو في الحقيقة نفى على جارى عادة ولاية مصر، إذا غضبوا على أحد نفوه إلى السودان في صورة تنصيبه بأحد المناصب. فصدع المترجم بالأمر وسافر، ولكنه لما وصل بنى سويف وصله أمر الخديو بالرجوع بسبب تداخل ولى العهد محمد توفيق باشا، وسعيه بالشفاعة له لدى والده لأنه كان يحبه فرجع من الطريق وقصد قرينته زاوية الأموات. فمكث به عدة شهور، ثم أذن له بالإقامة في القاهرة فأقام بها في داره المعروفة بجهة الإسماعيلية مدة، إلى أن جعله الخديو إسماعيل باشا مديراً للفيوم، ولكنه عاد فألغى هذا الأمر قبل سفره. وبعد نحو سنة رجع بأمر الخديو المذكور إلى بعض المناصب التي كان بها بالوجه القبلى.

وخلع الخديو وتولى بعده ولده محمد توفيق باشا. وقامت الثورة العرابية وطالب العرابيون الخديو باعادة مجلس النواب، وكان أهمل شأنه بعد توليته، فأجابهم لذلك وألف مجلس النواب، فجعل المترجم رئيسا له لما يعلمه من إخلاصه ومحبتة له، ثم وقعت بينه وبين العرابيين وأمراء الجندمنازعات وخلاف في بعض الأمور، ظهر لهم منها ميله للخديو، فأبغضوه ونووا له سوء.

وقام عليه مرة عرابى وبعض الضباط في داره، فهددوه بالقتل وجردوا سيوفهم في وجهه، وكاد يقع في أيديهم، لولا أنهم تراجعوا

عنه من تلقاء أنفسهم ، واشتد قلقه بعد هذه الحادثة ، ورأى حياته معهم على خطر ، فاحتاط لنفسه ، وصار إذا جلس بداره وضع بجانبه مسدسًا محشوا ليدافع به عن نفسه إذا فوجئ ، ولم يغن تهديدهم له شيئاً ، ولم يجد في تحويله عن الخديو ، بل استمر على إخلاصه ، والقيام بمساعدته ، والأخذ بناصره . ثم اشتدت الفتنة ، وسافر الخديو إلى الإسكندرية ، فصحبه المترجم ملازم خدمته ، واستدعاه هناك درويش باشا مندوب السلطان في شعبان سنة ١٢٩٩ ، وأنبأه بأنعام السلطان عليه برتبة روملى بيكريكى ، وأعطاه تقليدها بيده ثم قامت الحرب على ساق ، بين الإنكليز والعرايين ، فندبه الخديو لمساعدة الإنكليز ، وإرشادهم إلى الطرق ، فبذل ما في وسعه وكاتب بعض مشايخ العرب والعمد ، ومن لهم شأن ، يمينهم بالخلع والرتب والأوسمة ، على أن يبذلوا الطاعة للخديو والإنكليز وينبذوا طاعة العرايين ، فنجح في مسعاه ، ووافقه الكثيرون ، فانضموا للخديو وشيعته سرًا ، ووقع الفشل في زمرة العرايين ، وانهمزمت جمعهم ، واستولى الإنكليز على مصر ودخلوا القاهرة يوم الخميس مستهل ذى القعدة سنة ١٢٩٩ . فأرسله الخديو إليها نائباً عنه ، وأطلق يده في التصرف في الأعمال ، فوصلها في ٢ ذى القعدة ليلاً من طريق بور سعيد ، واستبد بالأموز أربعة أيام حتى حضر

النظار إليها، وباشروا أعمالهم. وقد تاه المترجم وتجرى في هذه الأيام الأربعة، وأمر بالقبض على كثيرين ممن كان له بغية في القبض عليهم وإذلالهم، ومنهم حسين باشا الشريعي، فإنه أوغر صدر الخديو عليه، وأشار بسجنه، ونسى له سابق فضله عليه، وذلك لخلف وقع بينهما إبان قيام الفتنة

ولما حضر الخديو من الإسكندرية عقب إطفاء الثورة وذهب الناس لتنهئته بقصر الجزيرة يوم الثلاثاء ١٣ ذى القعدة المذكور أتى أمامهم على المترجم ثناء كثيراً، وقال: هذا هو الرجل الذى أخلص لنا فى السر والعلاية، وأنعم عليه بالوسام المجيدى الأول، وأمر بإحضاره فوضعه على صدره بيده أمامهم، ثم سعى له عند النظار للإنعام عليه بعشرة آلاف دينار مصرى مكافأة على خدمته ومسعاها، فأعطيت له من ديوان المالية. وكافأه الإنكليز بوسام (سان جورج، وسان ميشيل) من الدرجة الأولى لمساعدته لجندهم إبان الحرب، وذهب به السيرمالت قنصلهم الكبير إلى داره وسلبه له يوم الثلاثاء ١٧ محرم سنة ١٣٠٠، وقال له: إن من شروط هذا الوسام أن تضعه مولانا الملكة بيدها على صدر من تنعم عليه به، وقد أتيت اليكم نائباً عنها فى وضعه على صدركم جزاء إخلاصكم وولائكم لجلالتهما ولحضرة الخديو. ثم فى جمادى الأولى من هذه السنة أنعموا عليه أيضاً بالمدالية الانكليزية المضروبة بخصوص الحرب العراقية

وبقى المترجم بعد ذلك في داره بالقاهرة بلا عمل ، ملقبا بلقب
رئيس مجلس النواب ، ثم انتدب للإشراف على شواطئ النيل
وجروفه بالوجه القبلي لما زاد في الفيضان ، فصعد بالأمر على كره
منه ، ورأى ذلك حطا من مقامه ، واستقل العشرة الآلاف
والوسامين على ما قام به للخديو والإنكليز ، وانعكست آماله التي
التي كانت ترمى إلى تنصيبه في منصب كبير ، وفترت نفسه ، وكثرت
همومه ، وانحرف عن الإنكليز ، وطفق يذمهم بعد أن كان لهجما
بمدحهم والثناء عليهم في كل مجلس يجلسه ، واعتزل الناس فجعل
إقامته بالصعيد ، ولما ذهب اللورد دوفرين إلى تلك الجهة زاره
المترجم فلم يلق منه ما كان يؤمله من حسن المقابلة ، وسأله
في عرض حديثه عن حضور أخوى الخديو حسين باشا وحسن
باشا من أوربة ، فقال له : نعم حضرا ، فقال : ولم حضرا ؟ فأعرض
عنه اللورد ولم يجبه ، ونقل حديثه مع غيره ، فقام المترجم من
المجلس كاظما غيظه ، وزاد في ذمه للإنكليز ، وأثرت هذه
الأحوال فيه فاعتلت صحته

ثم صدر الأمر العالي يوم الأربعاء ٢١ محرم سنة ١٣٠١ بجعله
رئيسا لمجلس شورى القوانين الذي ألف حينذاك ، بدلا من مجلس
النواب ، حسب إشارة اللورد دوفرين في تقريره عن مصر ،
فتولى هذا المنصب وهو عليل ، ثم ازدادت علته ، فأشار عليه الأطباء

بالسفر إلى أوربة للمعالجة ، حيث لم تفده معالجة أطباء مصر ،
فسافر إلى بلاد النمسة ، ونزل بنزل في مدينة غراتس ، فوافاه أجله
هناك صباح يوم الإثنين ٢٦ شوال سنة ١٣٠١

ونعى إلى الخديو في ذلك اليوم بالبرق ، نعاه له قليني باشافهمي
فأسف عليه أسفا شديدا وجزع ، وأمر بنقل جثته إلى القطر
المصرى لتدفن فيه ، وأقام له مأتما من الخاصة الخديوية ، وناط
بمحافظة القاهرة القيام به بالنيابة عنه ، ووصلت جثة المترجم إلى
الإسكندرية يوم الأربعاء ٦ ذى القعدة من السنة المذكورة ، فأمر
الخديو بتشديدها تشديدا كبيرا بالإسكندرية ، فسارت في طليعة
الجنازة كتيبة من فرسان الشرطة ، ثم كتيبة من الجند الرجالة
منكسي الأسلحة ، يتلوهم قرءاء الأحزاب والبردة ، ثم جميع
كبار الموظفين بالإسكندرية ، فتلاميذ المدارس ، فجم غفير من
الأعيان حتى أوصلوا النعش إلى السكة الحديد ، فجعلوه في قطار
مخصوص سافر به من هناك إلى منية ابن الخصيب ، ونقل منها إلى
الشاطئ الشرقى حيث دفن بمقبرة بلده . وخلف المترجم ثروة
واسعة ، وولدا واحدا عمره نحو سنتين ، وثلاث بنات . وقد رثاه
الشيخ على الليثي بقصيدة أولها :

لاتأمن الدهر واحذره أخوا الفطن

فغنصر الدهر مطبوع على المحن

يا ساجحا في عباب اللهو من عمه
دع الأمانى واحذر عادى الزمن
دهر تنكر في حاله لا ثقة
به لداريه فى سر وفى علن
بيننا نرى المرء فى أزر الصفا جذلا
إذ ألبسته المنايا حلة الكفن
يمسى وأزهار روض العيش يانعة
حيناً ويصبح منعياً على ظعن
ذى شيمة الدهر لم يسلم مسالمه
هيات يرعى ذماما غير مؤتمن
نرجو وفاه ولو كان الوفى لما
أودى (١) بنفس أبى سلطان ذى المنن
ومنها والله أعلم بما يقول :
يا لهف نفسى على واف له همم
بعضها لو تحلى الدهر لم يخن
ومنها :
إنى لأعجب من ساع لغائلة
وكان يرجو شفاء الروح والبدن

(١) فى الأصل : أوردى . وهو سبق قلم

لكن قضى الله من إتمام نعمته

بأن يموت شهيدا نازح الوطن

من مثله قام بالأمر العظيم وقد

كان الزمان عبوس الوجه بالفتن

ومنها في إقامة الخديو مآتمه :

ويعد أن مات إتماما لنائله

أحيا مآتمه جريا على السنن

هذي العناية قد ود الحسود له

لو كان أودي ولاقى مثلها وفقى

قل للحسود انتفض واحلل مكانته

خلالك الجوف فاقرع هامة الفن (١)

ياشامتا بنعى المكرمات فعش

وخذ أمانا بما تهوى من الزمن

هذا وإلا فتح مثلى مساعدة

وانثر فرائد دمع غالى الثمن

ماكل من مات تبكيه الكرام ولا

كل البكاء بكاء الواله الحزن

(١) مكذبا في الأصل ، وربما كان اللفظ الفن ، جمع فنة

هذى مساجده هذى مدارسه
هذى منازل أضياف على سنن
لا أكذب الله إني مت من أسف
لولا يقيني بوشك القرب لم أكن
وقد كفاني رثا شجو يؤرخه
سلطان باشا شهيدا مات يا حزني

١٣٠١

وكان للمترجم إمام بالأدب وقرض الشعر ، اشتهر عنه
نظم النوع المسمى بالصعيد بالواو ، وأخبرني من أثق بقوله
أنه اطلع على قصيدة له في مدح حسن باشا الشريعي رحمهما الله
وحدثني صديقنا علي رفاعة باشا ، ابن رفاعة بك الشهير قال :
كانت بيني وبين المترجم وحشة ازدادت لما جعلت وكيلا للمعارف
إبان الثورة العراقية ، ثم عزلت من هذا المنصب بعيد الثورة ،
وقصدت السفر الى بلدتي طهطا ، فلقيته بالقطار ، فلها وقعت عينه
على عيني نظر إلى نظر الشامت ثم قال : إيه يا على بك ، لقد أجاد
الشاعر في قوله :

برغم شيب فارق السيف كفه وكانا على العلات يصطحبان
فقلت نعم أجاد ، وأجود منه قول الآخر :

إني لأرفع عيني حين أرفعها (١) على كثير ولكن لا أرى أحدا

(١) في الاصل بخط المؤلف أيضا : أفتح ... أفتحها . تحت ما هو مذكور فوق

ترجمة

مصطفى باشا الخزينة دار

جر كسى الأصل ، اشتراه عزت باشا ، أحد الصدور في زمن السلطان محمود الثانى ، ورباه صغيراً في القسطنطينية ، ثم أتى به إلى مصر سنة ١٢٥٢ ، فاشتراه كتخداها عباس باشا ابن طوسون باشا ابن محمد على باشا ، وحظى عنده حظوة عظيمة ، وقدمه على سائر مملوكيه ، ولما تولى ابراهيم باشا ابن محمد على على مصر سنة ١٢٦٤ استأذن منه عباس باشا في السفر إلى الحج فسافر إلى الحجاز وأقسم بأنه لا يعود لمصر مادام عمه والياً عليها ، لوحشة وقعت بينهما . وأخذ المترجم معه ، فلما وصل إلى مكة وأدى فريضة الحج ، وصل إليه البشير بموت عمه ابراهيم باشا ، وتوليته مكانه ، وصادف ذلك موت خزينة داره راغب أغا المورهلى ، فأقام المترجم بدله وأعتقه ، ولزمه من ذلك الحين لقب الخزينة دار ، ثم جعله رئيساً للملوكيه ، وأنعم عليه برتبة أميرالاي ، ووظف له ألف دينار مصرى في السنة ، وعاد معه إلى مصر ، فكبر شأنه ، وعظمت منزلته بين الأمراء ، وأمر ونهى في الولاية ، وحل عند سيده بمنزلة كبيرة ، حتى أمر أن يكون أمر المترجم كأمره نافذاً لا يرد

في كافة الدواوين ، وكان يقول له : أنت يامصطفى مثل أولادى ،
والمرجم لا يقابل ذلك إلا بالصدق والإخلاص فى الخدمة ، والوالى
يوالى بره ، ويزيد فى إعزازه ، حتى أمر أن يركب مثل ركوبه فى
موكب بجند وحاشية ، فاستعفى من ذلك وقال : عبدكم يكفيه
ركوب جنديين يستخدمهما فى خدمة أفندينا ، فقبل منه وأعفاه ،
وتسامع الناس بذلك فلأمه بعض أخصائه على إباته هذا الشرف
العظيم ، فقال له : أتم جهلاء لا تقرؤون العواقب ، أما تعلمون أنه
إذا مات أو غضب على أسلب هذا الشرف وينحط قدرى بين
الناس ، أفليس الأولى لى أن أبقى على حالة واحدة لا أغيرها ؟

وكان المترجم ميالا لفعل الخير يسعى فيه جهده ، يروى أنه
انقذ نحو ثلاثمائة شخص من القتل والنفى لنفاذ كلمته عند والى ،
ويروى أن عباسًا باشا غضب مرة على أحمد باشا المنكلى ،
وكان من جملة القواد ، فحفاه الناس وخصوصا الأثراء على عادتهم
مع من يغضب عليهم الولاية ، حتى يبلغ بالواحد أنه لا يستطيع
المرور أمام دورهم ، واتفق أن المنكلى ذهب يوم العيد إلى
العباسية لمقابلة والى وطلب العفو ، فلقى إعراضًا من الحاشية
ونفورا ، وراه المترجم على هذا الحال فصعب عليه مكانه لما كان
يعلمه عنه من علو المنزلة عند الولاية السابقين ، فأسرع إليه وأكرمه
وأمر له بالقهوة والدخان ، وجلس بين يديه متأدبا ، ونمى الخبر

لعباس باشا فغضب واستدعى المترجم ووبخه على إكراهه رجلاً
مغضوباً عليه منه ، فتلطف معه وقال له : حلم أفندينا أكبر من كل
ذنب ، وهذا الرجل تعلمون حسن بلائه في الخدمة ، وقد جرأتني
هذا الحلم بأن سكنت روعه وأخبرته برضاكم عنه ، وأنكم دائماً
تذكرونه بالخير . وتقولون هذا رفيقنا بالشام يوم كنا مع عمنا في
المحاربة ، وأفندينا أكرم من ألا يقبل شفاعته عبده فيه ، فضحك
عباس باشا وقال : لا بأس عليه قد عفوت عنه ، ثم استدعاه فدخل
وقبل الأرض من شدة فرحه ودنا منه حتى قبل قدمه ، فأجلسه
وبش في وجهه وقال له : أنت (أرقداش) ثم صرفه شاكراً
مسروراً .

ثم لما مات عباس باشا بقى المترجم خزينه داراً لدائرته
زمنًا قليلاً . وتولى محمد سعيد باشا على مصر وكان بالإسكندرية
فتأخر بها خمسة أيام خوفًا من أن تغتاله شيعة عباس باشا إذا
حضر الى القاهرة لما بلغه من أن الألفى يريد تولية الأمير إلهامى
باشا ابن عباس باشا . فتأخر حتى كتب له الأعيان والأمرء
بالطاعة وأرسلوا كتبهم إليه وفيه توقيع المترجم ، فاطمأن وحضر
الى القاهرة ونزل في قصر شبرا عند أخيه حلیم باشا ، فبات عنده
ليلة لم يهنأ فيها بنوم ، وأخبر أخاه أنه بلغه عن المترجم ان عنده في
العباسية خمسمائة فارس بسلاحهم ، وأنه يخشى من هجومه بهم على

القصر قصد اغتياله ، فصرف عنه أخوه هذا الوسواس ، ثم طلب المترجم بعد ذلك إلى القلعة وخرج إليه حسن باشا المناسترلى وقال له : أفندينا يعلم أنك رجل عاقل فما هذه الخمسة الف الفارص التي عندك بالعباسية ؟ أتحاول أن تحدث بهم أمرا ، أو تجد ذلك ملكا ؟ فقال : معاذ الله من ذلك إنما أنا عبد من عبيد أفندينا وكل ما سمعه عنى زور وبهتان من سعى المفسدين ، وبعد فهل هذه الفرسان فى بطن الأرض أو فوق ظهرها ، وكيف خفى عليكم أمرها ، نحن ليس عندنا غير عشرين فارسا لحفظ قصور الحرم ، فقبين لهم صدقه . ثم لما أراد سعيد باشا السفر إلى دار السلطنة لشكر السلطان على توليته — على عادة ولاية مصر من بنى محمد على مع سلاطين آل عثمان — وجد خزانة مصر خالية من المال . فطلب من المترجم إقراضه خمسين ألف دينار من أموال عباس باشا التي بيده ، فأبى وتوقف وقال : إنما أنا أمين عليها وصاحبها إلهامى باشا باستنبول ولا يجوز لى التصرف فى ماله بغير إذنه . فتداخل بعض الأمراء فى الأمر ، حتى رضى بإقراضه القدر المذكور بشرط أن يكتب صكا يوقع عليه ، ففعل وأخذ المال ، ولما حضر إلهامى باشا من دار السلطنة أعطاه المترجم الصك وقال له : هذا المال أخذه عم أيبك ، فان شئت طالبت به وإن شئت تجاوزت له عنه ، فعدت هذه الحادثة من مواقف المترجم المحموده .

وبقي المترجم خزينة داراً لإلهامى باشا حتى رآه ينفق أمواله في غير وجهها ، فنصحته بأنه إذا دام على هذا الحال لا يبقى ولا يذر شيئاً مما تركه والده ، وأوصاه بالحزم ، وقال له في عرض كلامه : ياسيدى أنا لا أنهاك عن الكرم والإحسان إلى الفقراء ، ولكنى أنهاك عن الإسراف والتبذير والإنعام على صغار الخدم بهذه الجواهر والنفائس الثمينة التي تراها في أيديهم كل يوم ، ولما رأى إعراض الأمير عنه وتماديه فيما هو فيه استعفى من منصبه ولزم داره التي بالتبليطة . ثم بدا له السفر إلى دار السلطنة فسافر إليها ، وعلم السلطان عبد المجيد بن محمود بمقدمه فطلبه إلى القصر ، ولكنه لم يقابله بل أمر أولاده الأمراء مرادا وعبد الحميد ورشادا باكرامه ، فقابلوه ولاطفوه ، ثم قيل له : إن في نية السلطان الإنعام عليه برتبة باشا . وأشير عليه بعدم السفر فلم يوفق للإقامة بل سافر بغير إذن إلى الحجاز فحج وعاد لمصر ، وكان الوالى سعيد باشا أرسل إلى كامل باشا زوج أخته الأميرة زينب هانم أن يراقب المترجم مدة وجوده بدار السلطنة لأنه يوجس من سفره خيفة ، فأعلمه أنه تحقق من أن الرجل ليس له مقصد سوى التنزه والسياحة فقط . وأراد سعيد باشا مرة استخدامه فشكر ولم يقبل ، ولما تولى إسماعيل باشا على مصر أنعم عليه برتبة ميرميران وأمر باستخدامه عضواً في مجلس الأحكام فاعتذر عن الاستخدام وقال للرسول : إن كنتم تجبروني على الخدمة

لأجل رتبكم فهاك (فرمانها) أردہ لافندینا . فآقرہ إسماعیل باشا
على الرتبة ، وأعفاه من الخدمة .

وبقی بعد ذلك فی داره وینتقل تارة إلى ضیاعه یراقبها وینفق من
غلتهما حتی وافاه أجله ، فمات محمود السيرة ، عف السیرة ، قليل الشاکین ،
کثیر الشاکین ، لا یقطع فرضاً ، ولا یقصر عن نافلة ، مع إحسان
للفقراء وسعة فی النفقة من غیر تقصیر ولا إسراف ، وخلف ثروة
واسعة وأموالاً طائلة من غیر عقب ، لأنه لم یتزوج فی عمره إلا بنت
راغب أغا سلفه فی الخزینة دارية ، وكان ملهمی باشا أراد أن یتزوجها
لشکيب باشا مدیر دیوان الأراضی الأمیریة الآن ، فلم تقبله
واختارت المترجم فتزوجها وانتقل الی دارها فأقام معها نحو ثلاثة
أعوام ثم فارقها بکرا لم یبن بها رحمه الله تعالی .

مَرْجَبَةٌ

الشيخ محمد أكرم الأفغانى

هو الشيخ الأجل ، والعالم العامل ، القدوة الورع ، نزيل
القاهرة أصله من القبيلة الأفريدية النازلة فى مضيق جبل حيدر
المشهور الآن بجبل خبير الفاصل بين الهند وبلاد الأفغان ، ولد
ونشأ به ، ثم رحل إلى الهند لطلب العلم وهو فى الحادية والعشرين ،
فورد لكنهووه وهى حافلة بالعلماء ، فقرأ العربية والمنطق والحكمة
والعقائد والتصوف والفقهاء الحنفى والطب والرياضيات على الطريقة
القديمة حتى صار من الفحول المشار إليهم ، مع العفة والتقوى
والتشدد فى الدين . ثم ساه فى أغلب بلاد الهند وجعل أكثر إقامته
فى لكنهووه ، ثم بدا له السفر إلى الحجاز لقضاء فريضة الحج
فسافر إليه حوالى سنة ١٢٧٢ وبعده قضاء المناسك ورد على مصر
ونزل بالأزهر برواق الأفغانية المشهور برواق السليمانية ،
فاجتمع به هناك جملة العلماء مثل الشيخ حسين المرصفى وغيره ،
وبلغ خبره محمداً افندى الأفغانى المشهور بالكشميرجى تاجر
المطارف الكشميرية بجوار خان الخليلي ، فاجتمع به وصوب له
الانتقال إلى مكان فوق حانوته . فاكترى به محلاً وانتقل إليه وأقام

به نحو تسعة أشهر ، وتسامع به الأكابر مثل حسن باشا المنسترلي
كتخدا مصر وإسماعيل باشا عاصم ، فسعوا إليه وزاروه ، وبلغ
خبره الأمير أحمد باشا رفعت بن إبراهيم باشا والى مصر من محمد
افندى الأفغانى فاشتاق لرؤيته ، إلا أنه كان على قدم السفر إلى
ضيعة له ، فأرسل له خمسة وعشرين ديناراً حباه بها .

ثم سافر المترجم إلى دار السلطنة واجتمع هناك بعارف حكمت بك
الذى كان شيخاً للإسلام وبغيره من العلماء ، فظن عارف بك
أن مجيئه لطلب منصب علمى أو فتح (تكية) أو نوال صلة ، وسأله
عن ذلك ووعدته بالمساعدة ، فعرفه المترجم حقيقة أمره ، وأنه ماورد
إلا للسياحة . وأقام بدار السلطنة نحو عشرة أشهر ، ثم سافر منها
إلى الشام ، ومر بأزمير وتسامع به علماءها فحضر له كبيرهم إلى
السفينة ، وسأله النزول وألح عليه فقبل ، وأقام عندهم عشرة
أشهر أخرى قرأ لهم فيها ديباجة الفتوحات المكية ، ثم سافر على
غير رغبتهم إلى الشام ، فلقى من علماءها إكراماً زائداً واحتفالاً
كبيراً ، لاسيما من كبيرهم الشيخ سليم العطار ، وتلقوا عنه بعض
رسائل منها تشریح الأفلاك فى الهيئة ، وفصوص الحكم لابن العربى .
ثم أراد الشخوص إلى بغداد ، ولكنه استصعب السفر إليها براً
لكبر سنه وبدانة جسمه ، فعول على السفر إليها بحراً ، وأتى مصر
بنية السفر منها فى البحر الأحمر وخليج فارس إلى البصرة ، ومنها

إلى بغداد ، فلما ورد لها أنزله السيد أحمد الحسيني شيخ طائفة
النحاسين بداره وقام بشؤونهم أتم قيام ، وتراخت عزيمة المترجم
عن السفر ، وبدا له أن يتخذ القاهرة دار إقامة ما شاء الله تعالى
فانتقل إلى مكان اكتراه بخان الخليلي ، وأقام به بضع سنوات
منكمشا عن العالم مقبلا على شأنه ، مواظبا على الإقراء والتدريس ،
ولم يكن معه غير أحد تلاميذه ، وعلى هذا التلميذ قرأ شيخنا العلامة
الشيخ حسن الطويل خلاصة الحساب لبهاء الدين العامل

ثم لما كانت ولاية إسماعيل باشا على مصر أجرى على المترجم
عشرة دنانير في الشهر تصرف له من الحكومة ، واستصوب
أبو بكر راتب باشا ناظر الأوقاف إذ ذاك انتقال الشيخ إلى
مدرسة محمد بك أنى الذهب التي بجوار الأزهر ، فانتقل إليها وسكن
بها في قاعة الشيخ الصبان الذي كان موقتا لهذه المدرسة ، وأقام
المترجم بها نحو أربع سنوات ، ثم وافاه أجله المحتوم في ربيع الثاني
سنة ١٢٨٧ ، وقد جاوز التسعين ، ودفن ببستان العلماء في مقبرة
المجاورين ، ومات من غير عقب لأنه لم يتزوج في حياته

وكان ربعة أبيض اللون واللحية كشها ، كبير الهامة ، بدينا مهيبا
إذا سار في الطريق قام له الناس من يعرفونه ومن لا يعرفه ، حلما
متواضعا عفيف النفس زاهدا ، مع كمال عقل وحسن فراسة .
وكانت له اليد الطولى في كافة العلوم ، وكان الشيخ مصطفى

العروسي شيخ الأزهري يعرف له قدره ، ويزوره بمدرسة محمد بك . ولما مات الشيخ الباجوري وبقي الأزهري بلا شيخ اكتفاء بالوكلاء ، ولهبج الناس بضرورة إقامة شيخ ، قال الشيخ الأشموني : لو استشرت في ذلك ما رضيت بسوى الشيخ محمد أكرم ، فإنه رجل له جانب مع الله . وبلغ المترجم قوله فتبسم وقال : مالى وأزهرهم ، لو عرضوا على ولاية مصر ما قبلتها ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة

ترجمته

الشيخ محمد الأسمرى

الشافعى

أصله من أشمون جريس ، قرية من أعمال المنوفية ، وقد أخبر أنه من نسل أبى مدين التلمسانى ، ولد سنة ١٢١٨ ، وحضر الى الأزهر لطلب العلم ، فتلقى عن القويسنى ، والبولاقي ، والفضالى ، والأمير ، والباجورى ، والمرصفى وغيرهم . وكان أكثر حضوره على البولاقي ، والباجورى ، واشتهر بالذكاء ، وجودة التعليق ، وإتقان التحصيل ، إلى أن تأهل للتدريس فدرس الكتب المتداولة بالأزهر من صغيرة وكبيرة ، وقرأ المطول ، وجمع الجوامع ، وكتب التفسير ، والحديث ، والعقائد وغيرها مرات بعدوبة منطلق ، وحسن إلقاء ، ولم يؤلف كتباً وإنما كتب عنه بعض الطلبة تقييدات عن قراءته للعقائد النسفية ، وكذلك قيدوا عنه نحو ثلاثين كراسة حال قراءته لمختصر السعد ، وأخذ عنه كثيرون من كبار علماء الأزهر ، وعمر عمراً طويلاً حتى ألحق الأجداد بالأحفاد ، وصار جميع من بالأزهر إما تلاميذه أو ممن فى طبقتهم ، وروى عنه أن الشيخ محمد الإنابى الذى كان شيخاً على الأزهر

كان ممن تلقى عنه ، إلا أن الشيخ الإنبائي كان ينكر ذلك ولم يعقب المترجم لأنه لم يتزوج قط ، وكان القائم بخدمته في داره أخت له وجارية سوداء ، وعبد اسمه محبوب تبناه وزوجه من الجارية ، وفتح له حانوتا بالتربية وصيره من التجار ، ثم وقف على الثلاثة داره التي كان يسكنها بالباطنية بالقرب من الأزهر ولم ينقطع عن التدريس والإفادة إلا قبل موته ببضع سنوات لضعف أصابه من السكر ، وأبطل حركته في آخر أيامه . وكانت وفاته ، ليلة الجمعة رابع ذي القعدة سنة ١٣٢١ عن مائة سنة وثلاث سنوات ، وأمر الخديو بتجهيزه من الأوقاف الخيرية ، وأطلقوا منادين في الطرق للانباء بوفاته ، فساروا مشي رافعين أصواتهم بالنعي ، واجتمع في صديحة الوفاة الأئوف من صنوف الناس لتشجيع جنازته . قيل : أنهم بلغوا نحو أربعين ألفا ، وحضر أيضا الوزير المنهبي المراكشي وزير الحرب بالمغرب ، وكان مارا بمصر للحج وأحب أن تكون نفقة التجهيز والمأتم من عنده فأخبروه بأمر الخديو ، وتقدم شيخ الأزهر السيد علي الببلاوي للصلاة عليه بالأزهر ، وتلوا قبيل الصلاة مرثية من نظم الشيخ إبراهيم راضى مطلعها :

لا قلب للإسلام غير حزين فالיום فيه انهدّ ركن الدين
ثم خرجوا بالجنازة إلى القرافة ودفنوه في مقبرة الشيخ الإنبائي

وكان رحمه الله أنيس المحضر ، كثير الدعابة والمزاح مع الطلبة ، شديد الورع ، متصفا بالزهد والتقشف ، وقلة الاحتفال برفاهة العيش ، إذا سار في الطريق توكأ على عصاه بيد ووضع الأخرى على كتف من يسايره ، لاسيما بعد علو السن وضعف القوة . حضر مرة احتفالاً بما يقام لكسر السد أو المولد النبوي ، ورموا بالسهام النارية كعادتهم ، فتجاوز سهم منها مداه ووقع على الحاضرين ، فأصاب المترجم في إحدى عينيه وذهب بها ، فرق له الخديو إذ ذاك ، ورتب له راتباً شهرياً علاوة على راتب الأزهري رحمه الله تعالى

ترجمة

الغازي احمد مختار باشا

ولد في بروسة من مدائن آسيا الصغرى شهر (سبتمبر) سنة ١٨٣٧) وقدم الآستانة صغيرا ، فدخل المكتب الحربى العالى فنبغ من بين أقرانه ، ولم يخرج منه حتى نال رتبة قائم مقام وحضر حرب القرم ، ثم انتظم فى عداد أركان حرب السردار الأكرم عمر باشا حين حمل على الجبل الأسود سنة ١٨٦٠ وامتاز بالبسالة خصوصا فى مضايق اوستروك ، وكوفى وقتئذ بترقية رتبته ، ثم مالبت أن عاد إلى الآستانة عقب إبرام الصلح فجعل أستاذا فى المكتب الحربى . وفى سنة ١٨٦٦ جعله السلطان عبد العزيز مرييا لنجده البكر يوسف أفندى عز الدين ، فرافقه إلى إيطاليا وفرنسا ، وانكلترا ، وألمانيا ، والنمسا ، فنال فى أثناء ذلك وسام (الليجون دونور) وغيره من فرنسا وسواها ، وعاد إلى الآستانة سنة ١٨٦٧ فجعل مأمورا لتحديد التخوم بين بلاد الدولة والجبل الأسود ، فرجحت بسببه كفة الأولى إذ أبقي فى حوزتها عدة مواقع حربية مهمة ، وقوبل عمله هذا بترقيته لرتبة أمير اللواء وجعله عضوا فى المجلس

الحربي ، وفي ختام سنة ١٨٧٠ أرسل مع ضباط الجيش المرسل إلى اليمن تحت إمرة رديف باشا ، فاستولى على مدينة يدى ، ونال رتبة فريق ، ثم أقيم مقام رديف باشا في القيادة الكبرى لنقله والياً على الحجاز ، فتمكن من الفوز على أهل اليمن ، فرقى إلى رتبة مشير وجعل والياً على اليمن . ثم لما رجع إلى الآستانة أقيم وزيراً لوزارة النافعة فاستقال منها ، ثم جعل والياً لكريد ، ثم مشيراً للفيلق الثاني في شوملة سنة ١٨٧٣ ، ثم مشيراً للفيلق الرابع في ارزروم سنة ١٨٧٤ ، ثم قائداً لجيش الهرسك بدلا من رؤوف باشا سنة ١٨٧٥ فحصن مواقعها ، وقاوم الثورة حتى عقدت الهدنة في ختام سنة ١٨٧٦ فأعيد إلى كريد والياً عليها ، ولكنه لم يبق بها شهراً واحداً حتى أمر بالذهاب إلى ارزروم لقيادة الفيلق الرابع وحماية المواقع العثمانية عند حدود القوقاز . واشتهر بالفوز في الوقائع الحربية مع الروسية في جهة قرص ، والاكسندر ، وبول وغيرها ، خصوصا بمعسكر جديكر في شهر أغسطس سنة ١٨٧٧ حتى استحق لقب الغازى ، ولما قطع الغراندوق ميخائيل الصلات بين فرقته وسائر الجيوش العثمانية تمكن هو من النجاة ، ثم استدعى إلى الآستانة فجعل ناظراً (للطوبخانة) وكان ذلك في شهر أبريل سنة ١٨٧٨ وبعد ذلك عين قائداً لجيش يانيا ، ثم والياً لكريد مرة ثالثة في ٢٨ أغسطس سنة

١٨٧٨ فتمكن من توطيد الأمن بها وألف بين أهلها المسلمين
والمسيحيين فكتبوا عرضة رفعوها للباب العالي في شهر أكتوبر
سنة ١٨٧٨ بالثناء عليه . وبعد ذلك أرسل إلى ألبانيا لتنفيذ العهدة
البرلينية المتعلقة بها ، فدوخ الثائرين ، وعاد بعد حين إلى الأستانة
ولبت يقوم فيها بالمهام الجسيمة في الجيش ، حتى أرسل إلى مصر
معتمدا عاليا سنة (١)

ترجمة

الشيخ حسونة النوارى

الحنفى

هو حسونة بن عبد الله ، أصله من نواى ، قرية تابعة لملوى من أعمال أسيوط ، ولد سنة ١٢٥٥ ، ولما ترعرع حضر الى الأزهر ، وتلقى به العلم على شيوخ وقته ، وكان حضوره الفقه الحنفى على الشيخ عبد الرحمن البحر اوى ، والمعقول على الشيخ محمد الإنبائى ، والشيخ على بن خليل الأسيوطى . ثم درس به ، وأحيل عليه تدريس الفقه بمدرسة دار العلوم ومدرسة الإدارة التى سميت بعد ذلك بمدرسة الحقوق ، ودرس آخر بمسجد محمد على بالقلعة ، فكان له من مجموع وظائف هذه الدروس ما حسن به حاله ، وألف فى أثناء ذلك كتابه « سلم المسترشدين » فى الفقه الحنفى لتلاميذ مدرسة الإدارة ، ونال فى شهر شعبان سنة ١٣٠٢ كسوة التشرىف من الدرجة الثانية .

ثم لما شرع الخديو عباس باشا الثانى فى أوائل توليته فى تحسين حال الأزهر ، وإصلاح نظامه ، وطريقة التدريس فيه ، وابدال بعض الكتب التى تقرأ فيه بغيرها وإدخال بعض العلوم

فيه كالرياضيات ، وتقويم البلدان والتاريخ وغيرها وذلك بسعى الشيخ محمد عبده وغيره ، رأى الساعون تعذر ذلك مع وجود الشيخ محمد الإنبأى شىخا عليه ، ولم يشأ الخديو عزله دفعًا للقليل والقال ، فألف مجلسا من العلماء ينظر فى شؤونه سمي بمجلس الإدارة ، واتمس رئيسًا له يعين على إحداث النظام المطلوب ، فأشير عليه بالترجم لما عهد فيه من الشهامة والصرامة ، وسعى له بعض كبار رجال الحكومة ممن سبق لهم التلقى عليه بمدرسة الإدارة فأقيم رئيسا لهذا المجلس ، وأخذ فى الاستبداد بأمر الأزهري حتى انحصرت فيه كلياتها وجزئياتها ، وصار هو الشيخ فى باطن الأمر حتى ضجر الشيخ محمد الإنبأى ، ثم اعتلت صحته فاستقال فى ٢٥ ذى الحجة سنة ١٣١٢ ، وأقيل فى ثانى المحرم سنة ١٣١٣ .

فجاءت استقالة الشيخ على وفق مأمولهم ، وأقيم المترجم شىخا على الأزهري بدله ، فكانت توليته كالشجا فى حلوق أهله لأسباب منها أنهم يرون فيهم من هم أكبر سنا ، وأكثر علما ، وأحق بالرئاسة عليهم منه ، ومنها أنه جاء مؤيدا لإدخال بعض العلوم المسماة عندهم بالجديدة كاللحساب والهندسة والجبر وتقويم البلدان ، وماهى إلا علوم قديمة اشتغل بها المسلمون وألفوا فيها ، وكانت تدرس بالأزهري قبل انحطاطه ، وإنما نفروا منها

أطول عهدهم بها (١) وحسبانها من علوم الأفرنج ، وأنها ما أدخلت فيه إلا للقضاء على العلوم الشرعية أو تقليل الرغبة فيها ، ومنها أنه تولى بعد الشيخ الإنبائي المشهود له بالعلم والفضل والتقوى بين الخاصة والعامة ، بل لأنه كان سببا في باطن الأمر على إرغامه على الاستقالة ، ومنها اشتهاه بشيء من الشدة والجفاء في مخاطبة الناس ومعاملتهم مع ما داخله بعد التولية من الزهو والخلاء ، وما كان يشيعه أعداؤه عنه من ممالأته للانكليز على هدم أركان الدين بادخال العلوم الجديدة بالأزهر حتى كثرت القالة فيه ، ويعلم الله أنه برىء مما يأفكون .

وحدثت في مدته حادثة الوباء التي امتنع فيها المجاورون بإغراء بعض متهورينهم من الرضوخ لأوامر الحكومة ، واعتصموا بالأزهر ، وقاوموا رجال الشرطة ورموهم بالأحجار حتى أصيب محمد ماهر باشا محافظ القاهرة بجرح أدمى وجهه ، فأحيط بهم ، ورموا بالرصاص ، فجرح منهم من جرح ، ثم قبض عليهم وحكم على البعض بالسجن وعلى البعض بالنفي ، وأغلق رواق الشوام لأن أصل الحركة كانت منهم ، وهال الناس وقوع هذه الحادثة وانتصروا للمجاورين ، ووجدوا منها بابا للكلام في الشيخ

(١) يزيد : لبد عهدهم بها .

ورميه بالضعف والتهاون عن الدفاع عن حرمة المسجد والحمامة
عن أهله .

ثم لما توفي الشيخ محمد المهدي العباسي مفتي القطر سنة ١٣١٥
أضيف منصب الإفتاء للمترجم ، فجمع له بينه وبين رئاسة الأزهر
كما كان يجمع بينهما للشيخ العباسي أحيانا ، واستمر المترجم جامعا
للمنصبين وأكثر القلوب منصرفة عنه حتى وقع الخلاف الكبير
بين جمال الدين افندي قاضى قضاة مصر وبين الحكومة وأواخر
سنة ١٣١٦ بشأن إصلاح المحاكم الشرعية واقترح انتداب قاضيين
من مستشارى محكمة الاستئناف الأهلية ليشاركا قضاة المحكمة
الشرعية العليا فى الحكم ، فلما عرض الاقتراح فى مجلس شورى
القوانين أبى قاضى القضاة قبوله ، وقام المترجم بنصرته وشد أزره ،
وأراد رئيس النظار مصطفى فهمى باشا مناقشته فبدرت منه كلمات
عدها الوزير مهينة له ، ولم يقتصر على ذلك ، بل أرغى وأزبد وخرج
من المجلس مغضبا وهو يتلو قوله تعالى (١)

وشاع بين الناس ما أقدم عليه فأكبروه منه وحمدوا موقفه
فيه ، لاسيما وقد سرى إلى الأذهان أن الحكومة تريد هدم الشريعة
بهذا المشروع فانقلب ذمهم له مدحا ، وبغضهم محبة ، ولكنهم لم

(١) نوى المؤلف أن يثبت الآية فى الأصل فترك لها بياضاً .

يغنون عنه شيئاً لأن النظار أحفظهم ما واجه به رئيسهم وحرك ذلك ما كان في صدورهم منه يوم أرادوا منع الحج احتجاجاً بالوباء واستفتوه ليجعلوا فتواه عصاً يتوكؤون عليها كلما أرادوا منع الحج وظنوا أنه يوافقهم فأخلف ظنهم ، وأقوى بعدم جواز المنع فكانت حادثته مع الوزير من أحسن ما يتوصل به إلى التخلص منه ، فشكوه إلى الخديو وطلبوا منه عزله ، فاستدعاه يوم الثلاثاء ٦ المحرم سنة ١٣١٧ إلى مصيفه بالإسكندرية ومعه القاضي وألان لها القول وناقشهما في تعديل الاقتراح ، وتغيير ما يخالف الشرع منه ، فأصر القاضي على الامتناع ، وتكلم المترجم منتصراً له ، فقال في عرض كلامه : إن المحكمة الشرعية العليا قائمة مقام المفتي في أكثر أحكامها ومهما يكن من التغيير في الاقتراح فإنه لا يخرج عن مخالفته للشرع لأن شرط تولية المفتي مفقود في قضاة الاستئناف ، ثم التفت إلى القاضي وسأله : هل هو مولى من الخليفة أم من الخديو ؟ فقال : من الخليفة ، فقال : إذن يجب إذن القاضي لمن يريد مولانا الخديو إشراكه معه ولو كان أهلاً ، ثم انصرفا . وكان كلام المترجم فيه شيء من الشدة تألم منها الخديو فقال لرأى نظاره فيه ، ولكنه أسرها في نفسه حتى حسم نازلة القاضي بالحسنى ، ثم أصدر أمره يوم السبت ٢٤ المحرم سنة ١٣١٧ بفصله من الأزهر والافتاء ، وإقامة ابن عمه الشيخ عبد الرحمن القطب النواوى شيخاً على

الأزهري ، والشيخ محمد عبده المستشار بالاستئناف الأهلى مفتياً للقطر ، بعد ما انتقل من مذهب الإمام مالك لمذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة .

ولما أشيع الأمر كثرت وفود العلماء والوجهاء على دار المترجم وانطلقت الألسنة بمدحه والثناء عليه وتعلقت به القلوب ، وأقبل الناس عليه أى إقبال ، وتحققوا أن ما كانوا يتهمون به من قبل لم يكن إلا عن محض توهم . والحقيقة أن الرجل وإن لم يبلغ شأو طبقتة فى العلم فلم يعهد عليه ما يشين دينه ولا دنياه ، بل عرف بالعفة ، وعلو الهمة ، ونقاء اليد من الرشى ، لولا جفاء يبدر بعض الأحيان فى منطقته ، وشدة فيه يراها بعض الناس غلاظة ويعدها البعض شهامة لحفظ ناموس العلم ، خصوصاً مع الكبراء الذين أفسدهم تملق علماء السوء ، وحملهم على الاستهانة بهذه الطائفة .

ولم يزل المترجم عاكفا فى داره ، مقبلاً على شأنه ، وحببت إليه العزلة فابتنى داراً بجهة القبلة انتقل إليها وسكنها ، ولم يقم ابن عمه فى الأزهري طويلاً بل توفى فجأة بعد نحو شهر من ولايته سنة ١٣١٧ ، فولى على الأزهري الشيخ سليم مطر البشرى المالكي ثم استقال فأقيل يوم الأحد ٢ ذى الحجة سنة ١٣٢٠ ، وأراد الخديو إعادة المترجم أو تولية الشيخ

محمد بن حيت فلم يوافق النظار وتولى الشيخ علي بن محمد البيلاوي
المالكي نقيب الأشراف على الأزهر ، ثم استقال يوم الثلاثاء
٩ المحرم ١٣٢٣ فأقبل يوم السبت ١٢ منه ، وصدر الأمر
العالي يوم الأحد ١٣ منه باقامة الشيخ عبد الرحمن الشربيني
الشافعي ، ثم استقال فأقبل بأمر صدر يوم الأربعاء ١٦ ذى الحجة
سنة ١٣٢٤ (ورتب للشيخ الشربيني ١٥ ديناراً مصرياً في الشهر
من الأوقاف الخيرية ليكمل مرتبه ٢٥ ديناراً) (١) .

وصدر أمر آخر في ذلك اليوم باعادة المترجم شيخنا علي
الأزهر وهي توليته الثانية ، ولكنه لم يمكث فيها طويلاً
بسبب اختلال الأحوال ، ونزوع المجاورين للفتن ، وذهاب
هيبة المشايخ ، فاستقال سنة ١٣٢٧ .

وأعيد إلى الأزهر الشيخ سليم البشري ، ولزم المترجم
داره التي بالقبة يزوره محبوبه ويزورهم ، ونال في توليته
الأولى الوسام المجيدي من الدرجة الثانية ، وجعل حينذاك
عضواً من الأعضاء الدائمين بمجلس شورى القوانين ومن
شرط هؤلاء الأعضاء أنهم لا يعزلون ، ولهذا بقي المترجم
به بعد عزله من الأزهر والإفتاء ، حتى ألغى المجلس

(١) هذه الجملة مزودة في هامش الأصل بخط المؤلف بقلم الرصاص

واستعيض عنه بالجمعية التشريعية سنة ١٣٣٢ ، فانفصل عنه
بحكم الإلغاء .

وظل مقبلا في داره التي بالقبة في عزلة عن الناس
إلى آخر حياته ، وقد أصيب بأمراض ووهن في القوى
وضعف في النظر ، حتى توفي صباح يوم الأحد ٢٤ شوال
سنة ١٣٤٣ ، ودفن في العصر بالمجاورين ، تغمده الله
برحمته .

ترجمة

الشيخ احمد الرفاعي

المالكي (١)

اشتغل بالحضور في الأزهر على مشايخ وقته حتى تأهل للتدريس ، فدرّس الكتب المتداولة ، وقرأ عليه كثيرون من كبار علمائه الآن كالشيخ محمد عبده ، والشيخ محمد بخيت ، والشيخ أبي الفضل الجيزاوي ، والشيخ محمد حسنين العدوي ، والشيخ محمد النجدي الشرقاوي وغيرهم ، وقد أصبح في أواخر أيامه وليس في الأزهر إلا من هم تلاميذه أو في طبقتهم ، إلا الشيخ الشربيني والشيخ البشري

وكان من عاداته ألا يقطع الإقراء طول السنة ، ولا يسامح في أوقات المسامحات ولا يقعه عن الاشتغال إلا المرض ، فقرأ الكتب المتداولة مرارا ومهر فيها بسبب كثرة اشتغاله حتى صار المستعصى منها عنده بمنزلة السهل عند غيره ، وأتقن فن التجويد فجعل شيخا على المقارئ مدة طويلة . ولما أقيم الشيخ حسونه النواوي شيخا على الأزهر في المرة الأولى ولم يجد إقبالا من

(١) مكتوب في الهامش بخط المؤلف : وله ترجمة في البوائت الثمينة للبشير

علمائه ، صاحبه المترجم وتجبب إليه ولازمه في غدواته وروحاته .
ثم لما انحرف الخديو عباس باشا الثانى عن الشيخ محمد عبده مفتى
مصر والعضو بمجلس إدارة الأزهر وأراد كنف يده عنه ، ساعده
المترجم على ذلك وأخذ فى معا كسة الشيخ وتدير المكايده ،
وتنفير الأزهريين منه ، وتقرب من الخديو وأكثر من التردد
على قصر القبة ومداخلة الحاشية حتى حظى عنده وأقبل عليه
إقبالا عظيما ، فلما عزل الشيخ سليم البشرى عن الأزهر فى ٢ ذى الحجة
سنه ١٣٢٠ وأراد إرجاع الشيخ حسونه النواوى أو تنصيب
الشيخ محمد بخت ولم يرض النظر ، رشح المترجم واستدعاه
وأعلمه بانتخابه له ، فعاد إلى داره جذلا وأشاع الأمر وهيا السكر
لشرب المهنيين والرمل الأصفر لفرشه بصحن الدار ، وكاد الأمر
يتم له لولا أن بعض مبغضيه من المقربين للخديو صرفه عن توليته
وذكر عنه هنات الله أعلم بها ، فعدل الخديو عن تنصيبه إلا أنه
التمس لنفسه مخرجا من وعده الذى وعده به ، فأعمل بعض المقربين
الحيلة واستدعوه بحضرة الخديو وسألوه عن قبوله للتولية فقال لهم :
نعم ولانى مولاى وقبلت ، فأخذوا يذكرون صعوبة مراس أهل
الأزهر والمشاق التى يعانها شيخهم لإخضاعهم ، ولحوا له بأنهم
لا يظنونه يقوى عليهم فقال : ومن أهل الأزهر ؟ أنا أدوسهم بتمدى

فقالوا إنك : ستكون مع الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم
سلمان العضوين بمجلس الإدارة فهل ترضى بأن يشاركك في
الإدارة؟ وكيف يكون شأنك معهما؟ فقال : كلا لا أرضى بأن
يشاركاني بل أشرت لقبول التولية عزلها وهما عندي كافران لا يوثق
بهما ، فاستغرب الحديو في الضحك وقال : شرطك لا يمكن تنفيذه ،
ونحن نريحك من رئاسة الأزهر ، ونعوضك عنها بشيء نجر به عليك
من الأوقاف ، فأسقط في يده ورضى مرغما ثم صرفوه

ثم وقعت منه في أواخر أيامه زلّة ، قيل إنه تصرف في
وقف بغير وجه شرعي ولكن الله لطف به فلم يقع له بسبب ذلك
غير فصله من المقارىء ، وكثرت غمومه وهمومه لما لا كتبه إلا لسنة
في هذه المسئلة ، فانقطع عن التدريس لمرض أصابه إلى أن توفي بعد
ظهر يوم الإثنين ١٨ صفر سنة ١٣٢٥ ودفن يوم الثلاثاء وأذنوا
له على المآذن كالعادة في موت كبار العلماء ، وقد باغ من السن نحو
خمس وسبعين سنة ، وكان قصيراً دحداً خفيف الحركة ، رحمه
الله تعالى وتجاوز عنه

وله من المؤلفات حاشيته على شرح بحرق على لامية الأفعال
لابن مالك ، طبعت بمصر

ترجمة الشيخ محمد العباسي المهدى

الحنفي

هو ابن الشيخ محمد أمين ، ابن الشيخ محمد المهدي الكبير الشافعي ، كان جده المذكور من الأقباط ، فأسلم على يد الشيخ العلامة محمد الحنفي ، وقرأ عليه وعلى أخيه الشيخ يوسف الحنفي وغيرها حتى صار من كبار العلماء ، وترشح لرئاسة الأزهر بعد الشيخ الشرقاوي ولكنها لم تتم له ، وتولاها الشنواني ، وقد أطال الجبرتي في ترجمته . ثم نشأ ولده الشيخ محمد أمين عالماً حنفياً وتولى الفتوى بمصر زمننا ، وتوفي سنة ١٢٤٧ .

وولد المترجم باسكندرية سنة ١٢٤٣ فقرأ بها بعض القرآن ، ثم حضر إلى القاهرة سنة ١٢٥٥ فآتم حفظه ، واشتغل بالعلم سنة ١٢٥٦ فقرأ على الشيخ إبراهيم السقاء الشافعي ، والشيخ خليل الرشيد الحنفي ، والشيخ البلتاني وغيرهم ، ثم صدر أمر إبراهيم باشا ابن محمد علي بتوليته إفتاء الديار المصرية في منتصف شهر ذي القعدة سنة ١٢٦٤ وهو في نحو الحادية والعشرين من سنه ،

ولم يتأهل بعد لمثل هذا المنصب الكبير ، ويقال إن السبب في ذلك عارف بك الذى تولى القضاء بمصر ، وكانت له صلة بأبى المترجم . فلما ذهب إبراهيم باشا إلى القسطنطينية ليتسلم من السلطان مرسوم ولايته على مصر قابله عارف بك ، وكان إذ ذاك شيخاً للإسلام وأوصاه خيراً بذرية الشيخ المهدي ، وأن يولى منهم من يصلح لمنصب أبيه ، فكان همه السؤال عنهم بعد عودته لمصر ، وطلب المترجم لحضرته فصادفوه فى درس الشيخ السقاء يحضر مقدمة مختصر السعد ، فركب إليه وهو بين الخوف والرجاء ، ولما قابله أثنى عليه لاشتغاله بالعلم ، ثم أنبأه بأنه ولاه منصب الفتوى بمصر ، وعزل عنه الشيخ أحمد التيمى الخليلي وخلع عليه خلعة هذا المنصب ، ثم عقد له مجلساً بالقلعة حضره حسن باشا المنسترلى والشيخ مصطفى العروسى وغيرهما ، فأقروا على إقامة أمين للفتوى يقوم بشؤونها حتى يتأهل صاحبها لها ويباشرها بنفسه ، واختاروا له الشيخ خليل الرشىدى الحنفى بدل الشيخ على البقلى أمين فتوى التيمى ، ونزل المترجم من القلعة بموكب كبير من العلماء والأمرء ووفد الناس على داره للتهنئة ، ومدحه الشعراء ، فمن ذلك قول الشيخ محمد شهاب :

عز يا عزة الحمى أن تقاسى

تمهاة الصريم فيما تقاسى

ومنها قوله :

تب مفتى الهوى وتبت يداه
ضل شرعى نهجه والسياسى
فدعيه يا عز عز اصطبارى
إن فتواه فتنة للناس
ولئن قلت أى فتوى البرايا
حكمت بالنصوص دون التباس
وارتضاها الزمان قل لى وأرخ
قلت فتوى مهديه العباسى

١٢٦٤

وهى قصيدة طويلة ألحق بها هذه الأبيات الثلاثة مشيراً فيها
إلى التيمى وإلى الرشيدى أمين الفتوى الجديد :

قلت لما أن تم بدر التيمى
واعتراه نقص الخسوف الشديد
رجع الدر بالفتاوى إلى ما
كان فيه من المكان المشيد
فلنعم الرشيد يا ابن أمين

ولنعم الأمين يا ابن الرشيدى
وروى الفاضل محمد افندى التيمى فى الترجمة التى جمعها لآيه

الشيخ أحمد التيمي أن سبب عزله عن الإفتاء أحقاد قديمة كانت في صدر ابراهيم باشا منه بسبب معارضته له في أمور تخالف الشرع كان يريد لها ويعارضه الشيخ فيها ، فلا يجد بداً من الإذعان بسبب إقبال أبيه محمد عليّ على الشيخ ، فلما تخلى عن ولاية مصر وتولاها إبراهيم كان أكبر همه عزله عن الإفتاء ، انتهى .

ثم أكب المترجم على الاشتغال بالعلم خصوصاً الفقه حتى نال منه حظاً وافراً ، وجلس للتدريس بالأزهر لإقراء الدر المختار فقرأ منه إلى كتاب الطلاق وأكمل قراءته في داره ، وقرأ الأشباه والنظائر في داره أيضاً ، وباشر أمور الفتوى بعفة وأمانة وتدقيق وتحقيق ، واشتهر بين الناس بالحزم والعزم وعدم بمالاة الحكام ، وحسبك وقوفه في وجه عباس باشا الأول وتعريضه نفسه للتهلكة صيانة لما استودع من أمانة العلم ، وسبب ذلك أن هذا الوالي أراد أن يمتلك جميع ما بيد ذرية جده محمد علي مدعياً أنه ورد مصر لا يمتلك شيئاً ، فكل ما خلفه لذريته إنما هو من مال الأمة يجب رده إليها ، ووضعها بيد أمينها المتولى شؤونها ، واستفتى المترجم فلم يوافقها وأصر على الامتناع ، ولم يحفل بوعيده وتهديده حتى طلبه فجأة إلى بنها فسافر إليها وهو موقن بالهلاك ، وكان معه عند طلبه الشيخ أبو العلاء الخلفاوى ، فسافر معه لمؤانسته ومواساته ، فلما وصلا قصر بنها روجع المترجم في الفتوى

فأصر على قوله الأول ، فأمر بهما فأنزلا إلى سفينة بخارية سافرت
بهما ليلا في النيل لنفى المترجم إلى أبي قير ، واعتراه لشدة وجله
زحير كاد يودى به وهو مع ذلك مصر على قوله والشيخ أبو العلاء
يهوّن عليه الأمر ويؤانس به بالكلام ، إلى أن صدر الأمر بارجاع
السفينة ، وأنزلا منها وأمر بالسفر إلى القاهرة وسلم الله ، فكانت
هذه الحادثة سبباً لعلو قدر المترجم في النفوس وإعظام الولاية
فمن دونهم لشأنه ، وتسبب منها أيضاً إقباله على الشيخ
أبي العلاء المذكور ، وسعيه له في المناصب التي تولاها وعظم بها أمره
بعد ذلك .

ثم لما كانت سنة ١٢٨٧ والمتولى على القطر الحديو إسماعيل
باشا ، وكان انحرف عن الشيخ مصطفى العروسي شيخ الأزهر ،
فأراد عزله ولكنه خشي الفتنة ، لأنه شيء لم يقع من قبل لأحد
من مشايخ الأزهر ، فأخذ في جس نبض العلماء وسبر غورهم في
ذلك ، فهوّن عليه الشيخ حسن العدوى الأمر ، وأوضح له أنه
وكيل الخليفة وللخليفة أن يعزل من يشاء ، والوكيل له مال لأصيل ،
فسر الحديو وبادر إلى عزل الشيخ العروسي في أواخر السنة
المذكورة ، وكان العدوى يطمع فيها ، وما قال ما قال إلا توطئة
لنفسه فأخلف الله ظنه ، وصدر أمر الحديو في منتصف شوال
بتولية المترجم والجمع له بين منصب الإفتاء ومنصب الأزهر ،

فاستدعاه وخلع عليه وأنزله من عنده بالموكب المعتاد فباشر شؤون منصبه بحزم وعزم وتؤدة وتعقل ، وكان أول ما صدر منه سعيه لدى الخديو باعادة ما كان لأهل الأزهري من المرتبات التي أبطلت زمن عباس باشا ، فوافق على ذلك وأعيدت المرتبات الشهرية والسنوية ، ثم استصدر أمرا من الخديو بوضع قانون للتدريس ، فاجابه إلى ذلك ووضع قانون الامتحان ، وكانوا قبل ذلك لا يمتحنون ، بل كان من تأهل للتدريس تصدر له ، فيحضر أول درس له شيوخه وغيرهم من كبار العلماء ، ويناقشونه فان وجدوه أهلا أقروه وإلا أقاموه .

ولم يزل المترجم سائرا في طريقه المحمود ، ملحوظا بعين التبجيل من الحكام ، وبين الخاص والعام ، حتى ثارت الثورة العراقية المشهورة ، ورأى فيه العراقيون أنه ليس بالرجل الذي يوافقهم ويساعدهم في مطالبهم ، فكان من جملة ما طلبه عرابي باشا من الخديو لما زحف بالجيش على قصر عابدين عزل المترجم من الأزهري ، فعزل عنه في المحرم سنة ١٢٩٩ ، وتولى عليه بدله الشيخ محمد الإنبائي ، وانفرد هو بالافتاء ، ثم تجسست الفتنة وجاهر العراقيون بطلب عزل الخديو ، وكتبوا قرارا بذلك جبروا العلماء والوجهاء على التوقيع عليه ، فامتنع المترجم من موافقتهم على ذلك ، وقال لحامل القرار : أنا لا أوقع بيدي ، فاذا كان في

الأمر غضب فان خاتمي معي خذوه ووقعوا أنتم بأيديكم كما تشاءون .
فانحرف عنه العرايين وضايقوه وبثوا عليه العيون حتى احتجب
في داره التي على الخليج بالقرب من مدرسة الفخرى المشهورة
بجامع البنات ، وتحامى الناس عن زيارته ، وصار لا يخرج منها إلا
لصلاة الجمعة في أقرب مسجد إليه ، ومرت عليه أيام وليال قضاها
في انتظار حتفه في كل ساعة تمر به ، حتى كانت الهزيمة الكبرى
على العرايين ، وتشتت شملهم ، وعود الخديو إلى مقر ملكه في
١٢ ذى القعدة من تلك السنة ، فذهب المترجم فيمن ذهب للسلام
عليه وتهنئته بالظفر ، ودخل مع العلماء فخصه الخديو بترحيب
ورعاية زيادة عمن معه من العلماء وتقديرا لحسن بلائه في الإخلاص
له مدة الفتنة ، ولحظ الشيخ الإنبائي شيخ الأزهر إغماضا عنه من
الخديو ، وخشى أن يعزله ليعيد العباسي ، فقال : بيدي لا بيد عمرو ،
واستقال بعد أيام ، فأصدر الخديو أمره يوم الأحد ١٨ منه باعادة
المترجم إلى الأزهر ، علاوة على منصب الإفتاء الذي بيده ، ونصه
موجها لرئيس النظار :

(إنه بناء على استعفاء حضرة الأستاذ الشيخ محمد الإنبائي من
وظيفة مشيخة الجامع الأزهر ، ووثوقنا بفضائل وعالمية حضرة
الأستاذ الشيخ محمد العباسي المهدي ، قد اقتضت إرادتنا توجيه
هذه الوظيفة لعهدته كما كانت قبلا ، علاوة على وظيفة إفتاء السادة

الحنفية المتحلي بها من السابق ، و صدر أمرنا للمومى إليه بذلك فى تاريخه ، ولزم إصدار هذا لدولتكم إشعارا بما ذكر فى ١٢ أكتوبر سنة ١٢ الموافق ١٨ ذى القعدة سنة ٩٩)

فتمت للمترجم رئاسة الأزهر رغم أنف كثيرين ، فان بعض علماء الأزهر سعوا لتنصيب الشيخ عبد الهادى نجا اليبارى ، وكتبوا كتابة بذلك وأخذوا يوقعون عليها ويطوفون بها على العلماء ، فلم يشعروا إلا وقد فاجأهم الأمر بإعادة المترجم ، وذهب سعيهم وتعبهم أدراج الرياح .

ثم استمر المترجم جامعاً للمنصبين قائماً بشؤونهما أتم قيام ، حتى كانت سنة ١٣٠٤ وفيها بلغ الخديو أن جماعة من الأعيان والتجار مثل محمد باشا السيوفى ، وأخيه أحمد باشا يجتمعون للسمر بدار المترجم فى أغلب الليالى ، فيتكلمون فى الأمور السياسية ويظهرون أسفهم من وجود الإنكليز بمصر ، وموافقة الحكومة لهم فيما يحاولون ، وغير ذلك من هذه الشؤون ، فحنق الخديو وأرسل لمحمد باشا السيوفى بالحضور فلم يجدوه ، بل وجدوا أخاه أحمد باشا ، فحضر الى القصر وقابل الخديو . فوبخه توبيخاً شديداً وقال له : يخيل لى أنكم تريدون إعادة الثورة العرابية ، فتبرأ من ذلك وحلف أن اجتماعهم لم يكن إلا بقصد السمر والائتناس ، ثم قابل الخديو المترجم فى إحدى المقابلات الاعتيادية فلم يهش له كعادته

بل قال له وقت الانصراف: يا حضرة الأستاذ، الأجدد بالانسان أن يشتغل بأمور نفسه، ولا يتدخل فيما لا يعنيه ويجمع الجمعيات بداره. فلم يجبه المترجم إلا بقوله: أطال الله عمر أفندينا وأدام عليه العافية، إني ضعفت عن حمل أثقال الأزهري، فأسأله أن يعفني منه. ولم يكن الخديو يتوقع منه هذا الكلام، بل كان يظنه يجب بجواب يصرف المسألة بسلام، فغضب وقال مستفهما: ومن الإفتاء أيضا؟ فقال له: نعم يا أفندينا ومن الإفتاء أيضا، ثم انصرف ولم يكن المترجم ممن يعزب عنهم أن مثل هذا السبب لا يدعو الى الاستقالة، وخصوصا أن الخديو صرفه بالحسنى مع من أهم معه، ولكن كان هناك سبب أقوى أغضب رئيس النظار نوبار باشا الأرمي، وذلك لحادثة رفعت عنها دعوى أمام المحاكم الأهلية، واستدعى الأمر طلب كشف وجه إحدى المخدرات للتحقق منها، فامتنعت عن الاسفار محتجة بعدم جوازه في الشريعة، واستفتى المترجم في النازلة، فأقضى بعدم الجواز وشدد في المسألة، فشكا رئيس النظار للخديو وأوضح له أن الشيخ أصبح عقبة أمام القضاة معارضا لأحكام القضاء، ويقال إنه طلب منه إما أن يقيله من الوزارة، أو يعزل المترجم. فلما قال الخديو للمترجم ما قال تيقن أن المراد عزله فاستقال. فأمر الخديو يوم الثلاثاء ٣ ربيع الثاني من السنة المذكورة بإعادة الشيخ محمد الإنبائي للأزهري، وإقامة الشيخ محمد البناء للافتاء

وبقى المترجم بداره التي على الخليج ، واشتغل باصلاح قسم
منها تشعث فأعادته إلى رونقه الأول ، وصنع حيطانه بالأصباغ ،
وهو القسم المطل على الخليج ، وصار يمضى وقته بالنظر في شؤونه
الخاصة والاشتغال بالعلم ، إلى أن أعيد إلى الإفتاء فقط في (١)

فبقي به إلى وفاته ، وأصيب في آخر أيامه بفالج وهو يتوضأ
لصلاة الجمعة أبطل حركته . ثم تعافى قليلا وصار يخرج في عجلته
للتنزه بدون فرجة بل بعباءة بيضاء من الصوف ، وأشير عليه
بالإقامة بحلوان لجفافها ، فانتقل إليها وأقام بها برهة لم يستفد فيها
شيئا ، فعاد لداره بالقاهرة ، ووافته منيته في الساعة الخامسة من
ليلة الأربعاء ١٣ رجب سنة ١٣١٥ عن اثنتين وسبعين سنة ، بعد أن
لازمه المرض نحو أربع سنوات ، فأذن له على المآذن ، وحزن الناس
لموته حزنا شديدا ، وتكاثرت الجموع على داره لتشيع جنازته ،
فقبل إن عدد المشيعين بلغ نحو أربعين ألفا ، والمصلين عليه نحو
خمسة آلاف ، ثم دفن بقرافة المنجاورين في زاوية الأستاذ الحفنى
جنب أبيه وجده ، وراثه كثير من الشعراء جمعت مراثيهم في رسالة
ألفها الشيخ عثمان الموصلى نزيل القاهرة ، وسماها « المراثى
الموصلية فى العلماء المصرية » ، لأنه أضاف إليها ما رثى به الشيخ

(١) نوى المؤلف أن يثبت التاريخ . فترك له يابضا .

عبد الرحمن الرافعي مفتي الاسكندرية ، والشيخ سليم القلعاوى شيخ مسجد القلعة ، والشيخ محمد المغربي المتوفون هذه السنة أيضا وكان المترجم رحمه الله ربعة إلى الطول ، مليح الوجه ، منور الشيبة ، معتدل القامة . ذاهية ووقار ، مات عن ثروة طائلة وولدين هما الشيخ عبد الخالق المهدي ، والشيخ أمين ، ماتا بعده الواحد تلو الآخر . ولم يؤلف من التأليف سوى مجموع فتاواه الذي سماه (الفتاوى المهديّة ، في الوقائع المصرية) . طبع بمصر سنة ١٣٠١ في ثمانية أجزاء كبار . وعاش في عز وتبجيل مدة حياته ، وتولى الإفتاء مدة إبراهيم باشا . وعباس باشا الأول . وسعيد باشا . وإسماعيل باشا . وتوفيق باشا ، أى أربعين سنة من سنة ١٢٦٤ الى سنة ١٣٠٤ لم يعزل فيها ، فلم تحفظ عليه بادرة خطأ أو مخالفة للشرع ، وسبب ذلك أنه تولاه وهو صغير والعيون شاخصة إليه ، فكان لا يفتى فتوى الا بعد المراجعة والتدقيق والتعب الكثير . فحصلت له بذلك ملكة فيه حتى صار معدوم النظر ، لا يجاريه مجار في هذا المضمار وأضيف إلى ذلك ما كان عليه من التقوى والتشدد في أمر الدين ، حتى كانت مواقفه أمام الولاية لا تزيده إلا رفعة في عيونهم ، لعلمهم أنه لا يريد إلا نصره الحق ، فأجبهه وأغدقوا عليه بالإنعام ، ومن مواقفه غير ما ذكرناه أن الخديو إسماعيل باشا أراد مرة أن يستولى على الأوقاف الأهلية ويعوض عنها أهلها ما يقوم بمعاشهم ،

فاستفتاه في ذلك فتوقف ، وأفتاه بعضهم بالجواز ، فتكدر منه وجمع بينه وبين مخالفه ، فناظرهم وفاز عليهم بعد ما ألفوا رسائل في الحادثة وأكثروا من الجلبة ، ولم يقتصر الولاية على مشاورته في الأمور الدينية المختصة بمنصبه ، بل كانوا يستشيرون في غيرها من معضلات الأمور ، لما عرفوه فيه من سعة المدارك وجودة الرأي ، حتى إن إسماعيل باشا لما عزل عن مصر قال لولده توفيق باشا فيما أوصاه به : احتفظ يا بني بالشيخ المهدي فإنه رجل لا نظير له . وبالجملة فمحاسن المترجم كثيرة ، ولم يكن فيه ما يشينه سوى ما كان يرميه به بعض شائتيه من الإمساك والتقتير ، ويضعون عليه النوادر الخارجة عن حد المعقول ، والمعروف عنه المشاهد للقاصي والداني أن داره كانت مفتوحة للصادر والوارد ، لا تخلو مائدته يوماً عنهم ، وحسبنا أنه كان يخرج زكاة أمواله كل سنة ، ويفرقها على المستحقين . رحمه الله رحمة واسعة وأكثر في الأمة من أمثاله

وكان حائزاً لكسوة التشریف من الدرجة الأولى ، ومنحه الخديو عباس باشا الثاني الوسام العثماني الأول في ٢١ صفر سنة ١٣١٠ هو وشيخ الأزهر الشيخ محمد الإنابى ، وقاضى القضاة جمال الدين أفندى ، وسبب ذلك أن السيد توفيقا البكرى نقيب الأشراف سافر في هذه السنة إلى دار السلطنة ، وتوصل بمساعدة

الشيخ أبي الهدى الصيادي الى مقابلة السلطان عبد الحميد، فأنعم عليه بهذا الوسام وبرتبة قضاء عسكر الأناضول، فلما بلغ مسامع الخديو أحب أن لا يكون ممتازا عن كبار الشيوخ وهم القاضى والمفتى وشيخ الأزهر، فأنعم عليهم بهذا الوسام وأرسل إلى السلطان ملتمسًا الإنعام على المفتى وشيخ الأزهر برتبة قضاء عسكر الأناضول، وعلى القاضى برتبة قضاء عسكر الرومللى، لأنه كان حائزا لرتبة الأناضول، لكن طلبه لم يصادف قبولا .

وأحيل على المترجم قديما أمر انتقاء القضاة الشرعيين والمفتين الذين يقامون فى ولايات القطر ومراكزه، فكان يختار ذوى الكفايات ويتحرى فيهم النجابة والذكاء والديانة، ويحامى عنهم لدى الحكام، ويشد أزرهم، فحصل له بذلك مقام لدى أهل العلم المرشحين لهذه المناصب، وقصدوه ووجهوا وجوههم شطر داره، وهو مع ذلك لا يميل مع الهوى فى تنصيبهم، ولو كان ممن يمد اليد لجمع من هذا الوجه شيئا كثيرا .

ثم رأت الحكومة أن يكون أمر تنصيبهم منوطا بلجنة تؤلف بنظارة الحقانية برئاسة وكيلها إذ ذاك بطرس غالى باشا، وعرضوا على المترجم أن يكون من أعضاء تلك اللجنة فأبى

وكان له في المحاماة عن أهل الأزهري ومساعدتهم القدر المعلى
وتروى عنه مواقف في ذلك، منها: أن الشيخ مصطفى العروسي مدة
توليه على الأزهري استصدر من الخديو إسماعيل باشا أمرا بنفي
الشيخ حسن العدوي إلى إسنا، وكاد ينفذ فيه لولا أنه استغاث
بالمترجم، فقام بنصره وذهب للخديو مستشفعا، ولجَّ وألحَّ حتى
عفي عن الشيخ

ترجمة
السيد علي البيلوي
المالكي

هو علي بن محمد بن احمد المالكي الحسني الإدريسي من بيلو،
قرية تابعة لعمل ديروط الشريف التابعة لمديرية أسيوط، ولد بها
في شهر رجب سنة ١٢٥١ ونشأ بها فحفظ القرآن ومبادئ العلوم
وحضر للأزهر سنة ١٢٦٩ فقرأ به على شيوخ وقته كالشيخ محمد
عليش، والشيخ منصور كساب، والسيد محمد الصاوي، والشيخ
علي مرزوق، والشيخ إبراهيم السنجلاني، والشيخ أحمد الإسماعيلي،
والشيخ محمد الإنبائي، والشيخ علي بن خليل الأسيوطي، وكان
له به نوع اختصاص في الحضور، وصحب مدة حضوره الشيخ
حسونه النواوي، فكانا يسكنان معا، ويحضران معا الدروس
إلا في درس الفقه فان المترجم كان مالكيًا والشيخ حسونه
حنفيًا، ولم يزل يجد ويجتهد حتى تأهل للتدريس فدرس بالأزهر
والمسجد الحسيني الكتب المتداولة، وفي سنة ١٢٨٠ سافر للحجاز
فج، ثم استخدم بدار الكتب الخديوية بالقاهرة مغيرًا، حتى

كانت الثورة العراقية ، واتجهت الأنظار لتنصيب المصريين في المناصب الكبيرة فساعدته صديقه ومريده محمود سامي باشا البارودي على إقامته ناظرا على هذه الدار سنة ١٢٩٩ . فتمت له نظارتها بعد ما سعى كثيرون لها فلم يوفقوا .

ثم لما هدأت الأمور وأطفئت الفتنة كان المترجم يتوقع القبض عليه كما فعل بكثيرين للعلم بأنه من صنائع البارودي ، ولكن الله سلبه ولم يشأ الخديو أذاته لاشتهاره عنده بالصلاح والتقوى والبعد عن الفتن ، فاكتفوا بفصله من دار الكتب وجبروا خاطره بالخطابة في المسجد الحسيني ، ثم جعل شيخا لخدمة هذا المسجد في ثاني صفر سنة ١٣١١ . ولما غضب الخديو على السيد توفيق البكري نقيب الأشراف وشيخ الطوائف الصوفية وأمره بالاستقالة من النقابة فاستقال ، سعى للمترجم صديقه ورفيقه في الحضور الشيخ حسونه النواوي ، وكان إذ ذاك رئيسا لمجلس إدارة الأزهر قبيل إقامته شيخا عليه ، فقبل الخديو منه وأقام المترجم نقيباً للأشراف في ٦ شوال سنة ١٣١٢ فاعتنى بضبط مدخولها وجدد من أوقفها ست دور بناها بجهة الحليمية ، وصار يصرف الاستحقاقات في أوقاتها ، وسئل في رئاسة الخدمة بالمسجد الحسيني ، فقال : إن كانت النقابة تمنعني من خدمة سيدنا الحسين لا أقبلها . فأبقى كما كان .

وأقام المترجم في النقابة نحو ثمانى سنوات يحدد من معالمها ويحيى مدارس منها ، حتى نقل منها شيخا إلى الأزهري ، وكان سبب ذلك أن الخديو انحرف عن شيخ الأزهري الشيخ سليم البشرى وانتهى الأمر باستقالته يوم الأحد ٢ ذى الحجة سنة ١٣٢٠ ، وأراد الخديو إعادة الشيخ حسونه النواوي أو تنصيب الشيخ محمد بنحيت المطيعي فلم يوافق النظار على ذلك فرشح الشيخ أحمد الرفاعي المالكي وأعلمه بذلك ، وكادت تتم له لولا عوارض اعترضت ، ثم سعى الشيخ على يوسف صاحب صحيفة المؤيد ومن أكبر المقربين من الخديو للشيخ أمين المهدي ابن العلامة محمد المهدي العباسي فرد عليه بأنه لا يصلح لخوله وعدم توليته أموراً قبل الآن ، فأجاب بأنه وإن كان كذلك فهو من بيت علم وغنى ، تربى في نعمه فلا تطمح نفسه لشيء مما في الأيدي ، وتدر به على الأمور قريب مدرك ، فرضى الخديو به ، ولكن النظار لم يوافقوه عليه لأمر نقمها عليه ناظر الحقائق مدة ما أقامه عضواً بالمجلس الحسيني ، فحار الخديو وحنق ، وطلب دفتر أسماء العلماء فوقع نظره على اسم المترجم فارتضاه وجنح إلى توليته ، ولم يكن خطر على بال أحد ، وساعد الشيخ على يوسف على ذلك ليتمكن من رد السيد محمد توفيق البكري إلى النقابة فتم له الأمر ورضى به النظار وأعيد البكري إلى النقابة

مضافة إلى ما بيده من رئاسة الطرق الصوفية ، و صدر الأمر في ٢ ذى الحجة باقالة الشيخ سليم من الأزهر و تنصيب المترجم فلما ذهب لشكر الخديو كالعادة استصحب معه ولده الأصغر السيد محموداً و التمس إقامته شيخاً على المسجد الحسيني بدله كما أقيم أخوه الأكبر السيد محمد قبله خطيباً له فقبل ملتسمه و أجيبت رغبته .

وكان الخديو في ذلك الحين منصرفاً عن الشيخ محمد عبده مفتي مصر و العضو بمجلس إدارة الأزهر و صاحب الكلمة العليا فيه ، فكان يظن أن المترجم يوافق في معاكسة الشيخ و معارضته و عرقلة مساعيه ، فأخطأ ظنه ، لان المترجم مال للشيخ كل الميل و وافقه في كل مشروع ، و اتحده و اندرج فيه حتى لم يكن له من الرئاسة غير رسومها و الكلمة كلمة المفتي ، و عوتب في ذلك من أحد المقربين فاعتذر بأن الرجل لا يريد غير الإصلاح فلا يرى وجهاً لمعارضته فكان ذلك سبباً لميل الخديو عنه بعد إقباله عليه ، و ضعف المفتي عن معاندة الخديو و لم يجد من الإنكليز المساعدة التي كان يرتكن عليها فعزم على نفض يده من الأزهر ، و رأى المترجم أن الأمور لا تجري على مرغوبه فاستقال من الأزهر يوم الثلاثاء ٩ المحرم سنة ١٣٢٣ فأقيل يوم السبت ١٢ منه و أقيم بدله الشيخ عبد الرحمن الشريفي الشافعي و استقال أيضاً المفتي من مجلس الإدارة مرغماً . و أقام بعد ذلك المترجم بداره التي بجمة المنصورة بعد أن رتب

له الخديو خمسة وعشرين دينارا مصريا من الأوقاف الخيرية تصرف
له كل شهر ، مواظبا على كثرة تلاوة القرآن كعادته ، مقبلا على العبادة ،
حتى ازداد به المرض سنة ١٣٢٣ ، وتوفاه الله في غروب يوم الجمعة
الثالث من ذى القعدة من تلك السنة فشيعت جنازته بعد عصر يوم
السبت وصلى عليه بالمسجد الحسيني وطيف به حول المقام كوصيته ،
ثم دفن بقرافة المجاورين في بستان العلماء رحمه الله رحمة واسعة ،
وله من المؤلفات رسالة اسمها الأنوار الحسينية على رسالة المسلسل
الأميرية ، ورسالة فيما يتعلق بليلة النصف من شعبان ، لولده السيد
محمود تعليق عليها سماه : عروس العرفان ، في الحث على ترك البدع
وشوايب النقصان ، على الرسالة البيلادية المتعلقة بليلة النصف من شعبان
وأعقب المترجم من الذكور ولدين كبيرهما السيد محمد البيلادي
سعى له والده حين انفصاله من نظارة دار الكتب فجعل مغيرا
بها ثم جعل وكيلا لها وخطيبا للمسجد الحسيني ونال درجة العالمية
الثانية بالأزهر ، ثم جعل بعد ذلك نقيباً للأشراف . والآخر
السيد محمود ، جعل شيخا للمسجد الحسيني لما أقيم والده شيخا
للأزهر . ثم جعل بعد ذلك شيخا للمسجد الزينبي .

ترجمة

الشيخ زين المصفي

الشافعي

هو من طبقة الشيخ عبدالرحمن الشرييني والشيخ سليم البشري ،
إلا أن الشيخ سلماً أكبر منهما سناً ، حضر إلى الأزهر وقرأ على
كبار الشيوخ به حتى برع وتأهل للتدريس ، ثم جعله الخديو إسماعيل
معلماً للعربية لولده الأمير حسين كامل باشا سلطان مصر الآن (١) ،
وبسبب مخالطته له ولمن حوله ألم ببعض اللغات ، وسافر مع الأمير
إلى القسطنطينية وكانت أسواقها لم تزل أهلة بالكتب العربية فاقتنى
هناك كتباً نفيسة غريبة عن أهل الأزهر ، فصار ينقل منها في تآليفه
نقولاً يُغرب بها عليهم ، ثم استخدم بالمدارس وترقى إلى أن صار
كبير المفتشين بها ، ولم يزل بهذا المنصب حتى توفاه الله يوم الأربعاء
الخامس من جمادى الأولى سنة ١٣٠٠ ، فشيّع جنازته لفيف من
العلماء وجمع كبير من الناس . وأمر ناظر المعارف فصار فيها من كل
مدرسة فريق من تلاميذها وأتاب عنه نائباً حضرها ، ولما بلغوا به

(١) أي حين ألف هذا الكتاب .

الجامع الأزهر للصلاة عليه وقف الشيخ حمزة فتح الله فأبّنه
ورثاه بييتين من نظمه هما :

سقى الله من صوب الرضا أعظما هوى
بها ركن بيت العلم إذ دكه الحين
فلا غرو إن أضحت وجوه علومنا
مشوهة فاليوم فارقها زين

رحمه الله رحمة واسعة .

وفي مقدمة شرح أحمد بك الحسيني لكتاب الأُم للإمام
الشافعي الذي سماه بمرشد الأنام لبر أم الإمام مانصه : « زين المرصفي
كان عالما فاضلا أخذ عن علماء وقته وجد واجتهد حتى صار من
أكابر العلماء ، وكان ذهب مع الرسالة المصرية إلى بلاد فرنسا زمن
الخدو اسماعيل باشا ، وكان يجيد اللغة الفرنسية ، وله كتابات في
المنطق والحكمة . وكانت وفاته سنة ١٣٠٠ » انتهى

ترجمہ

الشیخ احمد أبو الفرج الدمهوری

أحمد أبو الفرج الدمهوری الشاعر الأديب، ظريف الجملة والتفصيل، حلو النادرة والفكاهة، انجذبت إليه النفوس وألفتها القلوب على دمامته وغرابة شكله. ولد بدمهور ونشأ بها في ضنك ورقة حال، ولم يكن مشتغلا بالأدب في أول أمره، ثم لازم الشيخ محمدا الوكيل القباني أحد أديب دمنهور المشهورين وعليه تخرج في النظم، وصحب أيضا الشيخ حميده الدفراوى، وهو أديب ولكنه لا يبلغ درجة الوكيل، ولم يحضر المترجم العلم على شيخ، بل كان يلازم مجلس الوكيل ولا يفارقه ليلا ولا نهارا فيكتب عنه كل ما يسمعه من شعر ونثر ونادرة ثم يستظهره، أخبرنى ثقة أنه اجتمع به بدمهور حوالى سنة ١٢٨٥ فرآه شابا نيسف على العشرين مخفوض الجانب كثير التواضع، لا يستنكف من خدمة الوكيل المذكور وحمل المصباح أمامه إذا سار ليلا

ثم نظر المترجم فى كتب الأدب ودواوين الفحول وبدأ ينظم الشعر فكان يعبث بالبيت والبيتين، ثم نظم بعد ذلك القصائد والمقطعات، إلا أنه كان قليل الإجابة كثير الخطأ واللحن، يتكلف

التجنيس والتورية، وأحسن شعره ما نظمه في المجون وضمنه ألفاظ العيارين والشطار. وكان حضوره إلى القاهرة صحبة الوكيل فأوصله إلى السيد عبد الخالق بن وفا شيخ السادات الوفائية فأعجب بظرفه ومجونه، وكان ينزل عنده كلما حضر إلى القاهرة، وهي إذ ذاك غاصة بالأدباء والأعيان، وفي الناس بقية، فكانوا يهشون له ويتهادونه إذا حضر، ويراسلونه إذا غاب، فحسنت حاله قليلا بما كان يناله من هباتهم. ثم اتصل بشاهين باشا كنج في طنطا لما كان مفتشا على الأقاليم سنة ١٢٩٣ فانتظم في حلبة ندمائه واختص به وواساه وجعله طرفة مجلسه، وجمع له من أغنياء البلاد مبلغا وافرا اشترى به عقارا ورسم داره بدمهور، واجتمع عند شاهين باشا بعبد الله أفندي نديم الشهير وغيره من خاصة أهل الفضل والأدب، ثم نقل شاهين باشا إلى منصب آخر بالقاهرة فصار المترجم يتردد عليه ويقوم عنده الأيام والأشهر يجتمع في أثنائها بغيره من الكبراء وذوى الوجاهة، فيهدى إليهم مدائحهم ويتحفهم بطرائفه

وكان على قلة إجادته في شعره مفتونا به مبالغا في تقريره وقت إنشاده، يمزج ذلك بإشارات وحرركات تستظرف منه، ولا يكاد يقر لأحد بالتقدم عليه في النظم. ولعمري لا أرى عبارة تفي بوصفه ووصف حرركاته عند الإنشاد وقيامه وقعوده والتفاتة

واستدعائه الحاضرين إلى استماعه ، فإنه كان إذا أراد إنشاد قصيدة من نظمه بدأ أولا بتقريظها ونبه الحاضرين إلى مواضع الإجابة منها ، فاذا ألقوا إليه بسمعهم أنشد المطلع وسكت هنيئة كالمأخوذ من جودته ، ثم التفت يمنة ويسرة مستطلعا خبيثة رأيهم فيه ، واستحلفهم بالله وبأنبيائه هل طرق آذانهم مثله في عمرهم ، وهل تهباً لشاعر قبله ما تهباً له فيه من رشاقة المبنى وغرابة المعنى وتناسب الشطرين ، ثم يمضى في البيتين والثلاثة ويعود إلى الصمت والتفكير ، ويقول : سبحان المالح ! كم ترك الأول للآخر ! وأمثال هذه الجمل التي اشتهرت عنه وصارت من لوازمه ، ثم يمضى في الإنشاد ، فاذا مر بتجنيس أو تورية وثب من موضعه وتمايل طرباً ، ثم نظر للحاضرين وقال لهم : اسمعوا من الفتى العربي اللعوب ، ثفّ على المتنبى وسحقاً له ، أين له هذه السلاسة والسهولة ؟ وهكذا حتى يتم القصيدة ، فإن رأى من السامعين استحساناً تهادى في غلوائه وأعجب وأطرب ، وربما عارضه بعض من يحضره استجلاباً لطرائفه واستثناساً بمحاورته ، فتصدر عنه النوادر ومحاسن الأجوبة الحاضرة . بلغنى أنه حضر مرة مجلساً جمع لفيفا من أهل الأدب فأنشدهم قصيدة من نظمه وبالغ في استحسانها كعادته ، وأخذ يستطلع طلع آرائهم فيها ، فانتبذ له صديقنا العالم الفاضل ، والشاعر المجيد الشيخ عبد الرحمن قُرّاعة مداعياً ، وقال له : أخطأت في

بيت منها فأدخلت حرفا على حرف وهو مما لا يجوز النحاة ، فاما
أن تسقطه أو تأتينا بشاهد على صحة قولك ، ووافقه الحاضرون
ومالوا معه على المترجم ، فنكس رأسه هنيهة . ثم نظر إليهم كالمتعجب
وقال : يا ليت قومي يعلمون !!

وكان كثير الاجتماع بشيخ أدباء العصر الشيخ أحمد أبي البقاء
الزرقاني ، فلا يخليه مرة من شعر له ينشده إياه ، ويعرض للشيخ
ما يشغله عن الاستماع فيستلفته ويكثر من الإلحاح عليه بترك ما هو
فيه والإصاخة إليه ويضايقه بذلك مضايقة شديدة ، ولكن لا يكاد
الشيخ يعرض عنه حتى تصدر منه بادرة ينقلب لها المجلس ضحكا ،
فكان يقول فيه : إن أبا الفرج عندي مشكلة من المشاكل ، لا أدري
أهو ثقيل أم ظريف ؟

وكان أول اجتماعي به في مجلس أحد الأعيان وأنا شاب
يافع متعلق بالأدب وأهله ، ولم أكن لقيته من قبل ، بل كنت
أسمع به وأشتاق رؤيته ، فرأيت عجبا : رأيت شيخا قصيرا دميم
الوجه قد ذهبت إحدى عينيه ، عليه جبة واسعة الأكمام ، وهو
جالس في زاوية من المكان يملئ على شخص حسن الحظ دالشة
من الطويل منصوبة الروى جعلها تهشة للخديو محمد توفيق باشا
بقدمه من الإسكندرية ، فكان منه من الوقوف عند كل بيت

والإعجاب به على ما تقدم ذكره ما نبهني للالتفات إليه ، ثم مر
ببيت قافيته لفظة (ومعضدا) فوثب من مكانه ونبه
الحاضرين إلى أنها تورية باسم الخليفة المعتضد بالله فلم يوافقوه ،
فأعرض عنهم وأقبل على الكاتب يشرح له حسن هذه التورية وأنها
لم تنهياً له إلا بعد إعمال الفكر والروية حتى أضجره ورمى الدرج
من يده ، فغلبني الضحك واستظرفته وقصدت محادثته ، فقلت :
لعل سيدي الأستاذ عارض بهذه القصيدة قصيدة أبي الطيب التي
يقول في مطلعها :

لكل امرئ من دهره ما تعودا

وعادة سيف الدولة الطعن في العدا

فسكت ثم نظر إلى شزرا ولم يزدني على قوله : تف على المتنبي
فاستغربت في الضحك ، وسألت عنه بعض الحاضرين ، فخبرنى به
فكدت أطير سرورا ببلقائه ، وأقبلت عليه أمدح القصيدة وأذكر
مواضع الإجادة فيها وأستعيدها منه ، فأبرقت أسرته وأقبل عليّ
أيما إقبال وأسمنى بعض مقطعات من شعره ، فقلت له : أما كان
الأولى بهذه اللائى أن تنظم في سمط ؟ فقال : نعم ياسيدي
إني مهتم بذلك وسيكون ديوانا مرقصاً ، وامتد بنا المجلس
فأريت منه ما لو أردت إثباته برمته لطلال بنا المقال ، ثم فارقت
وأنا أشوق الناس إليه ، وكأني به أحد أبناء المنجم الذين

ذكرهم الشعالي في اليتيمة ، وأورد فضولا للصاحب بن عباد
في وصفهم .

ومن غريب أمر المترجم أنه كان يُستملح منه ما يستثقل من
غيره ، فقد رَوَوْا عن بشار أنه كان يصفر ويصفق ويتفل عند
إنشاده ، وعن البحري أنه كان يتقدم ويتأخر ويتلفت إعجابا بشعره ،
وقد عينا بذلك وعد من سقطاتهما التي نعاها عليهما الناعون ،
بخلاف المترجم .

ومن غرائبه أنه كان معجبا بكنيته ، وكثيرا ما كان يتدرج بها
إلى الانتساب لمن تكنى بها من الفضلاء المتقدمين كأبي الفرج
ابن الجوزي وأبي الفرج الأصبهاني صاحب الأغاني وغيرها ،
فلا يدع أحدا من المتكئين بها إلا وينتسب إليه ، تارة لهذا وتارة لذاك ،
ثم ارتقى درجة فادعى الشرف ولاث على رأسه عمامة خضراء
ووسع أكامه ، وسعى حتى جعلوه نقيبا للأشراف بدمهور . حدثني
صاحبنا الأديب الفاضل محمد شكري أفندي المكي قال : لقيته
مرة وكنت علمت بأمر تلك النسب وأردت مداعبته فقلت :
يا أبا الفرج إن كنيته تنبئ عن شرف عظيم فلعلك من نسل أبي
الفرج بن الجوزي ، فقال : نعم ياسيدي صدقت وأصابت فراستك ،
ثم لقيته بعد ذلك بأيام وقد نسي ما دار بيننا فأعدت عليه الحديث
وقلت له : إجادتك في الشعر مع هذه الكنية تدلني على أنك من نسل

أبى الفرج البيهقي، فقال: أى نعم وهو الواقع اه. ولا خلاف فى أنه كان يعلم قصد محدثه فى أمر نسبه، إلا أنه كان يخرج مخرج الجد، حتى مع أخص الناس به، ويغضب ممن ينكر عليه. فيستظرف منه

وإدعى مرة أنه نال نصيبا وافرا من اللغة بحيث أصبحت لا يشذ عنه شىء من مفرداتها، وتمادى فى هذه الدعوى وتبجح بها فى المجالس، وتصدر للإجابة عن كل سؤال فيها يطرح عليه فتوالت عليه الأسئلة وهو يجيب عنها خابطا خبط عشواء لا يبالي بمن يحتج عليه بكتب اللغة. وصار الأدياء من أصحابه يرتجلون له ألفاظا يسألونه عنها فيخترع لها معانى يجيب بها، وربما أحال تخرصا على كتب لغوية يعينها، ونظم له بعضهم بيتا كبيت الخنفسار وسأله عن معناه فى جمع كبير من الأدياء وهو:

وبخرنق الأقيال عاثت فالتثت

ورقاء تعترض الأكام بشيظم

فقال: نعم! هذا بيت لعنرة، ذكره له صاحب الأغانى وهو يصف به حمامة، والخرنق شىء يشبه نسج العنكبوت وليس به، يكون بين أغصان الأشجار، فيقول: إن هذه الحمامة عاثت بين الأقيال أى الأشجار الكبيرة فالتثت قدماها بالخرنق أى اشتبكت به، وأما

الشيظم . . . وأراد أن يفسره فقطعته أصوات الضحك من
جوانب المجلس .

وبالجملة فقد كان خفيف الروح ، محبباً الى القلوب ، أديبا ظريفا ،
حاضر الجواب ، حلو النادرة . وكانت وفاته فجأة بدمنهور في ثاني
ليلة من شهر ربيع الثاني سنة ١٣١٠ بعد أن صلى العشاء ، وكان
آخر قوله : إنا لله وإنا اليه راجعون ، فشقّ نعيه على من عرفه وشيع
جنازته الألو ف . تعمده الله برحمته

ترجمة من أفندي عبد الباطن

ألحوى

كان خلاصتي اللون يشبه الحبش، وبوجهه أثر جدريّ،
وكان أدبياً شاعراً هجّاء، خبيث اللسان مجيداً، إلا أنه مقل،
استخدم بالأسكندرية فكان رئيس قلم في الضبطية حوالى سنة ١٢٨٥
وبقى بها الى سنة ١٢٩٠، وكان بها إذ ذاك مصطفى صبحى باشا
الشاعر المشهور، فكان يجتمع به من بها من الأديباء والشعراء،
فيسمرون معا ويحيون الليالى بالمذاكرة وإنشاد الشعر، واتفقوا
على تسمية مجلسهم بالمربد، وألا يقبلوا به أحدا إلا إذا ارتضوا به
جميعا، فكان المترجم ممن رضوا به أن يكون من شعراء المربد،
وكانت تمر عليهم ليال يقترحون فيها ارتجال الشعر، ويعينون
عدد الأبيات والوقت الذى يجب نظمها فيه، فكان أحدهم إذا
تعذرت عليه قافية وأعجله الوقت ارتجل كلمة لا معنى لها، أو لها
معنى لا يوافق السياق، وتمم بها البيت، فاجتمعت لهم من ذلك ألفاظ
غريبة مضحكة سموها بالألفاظ المربدية

ثم تنقلت الحال بالمترجم، فاستخدم معاونا بمديرية الشرقية،
ثم فصل فضاقت به العيش وفتح حانوتا بالزقازيق للصيدلة القديمة

المسماة في العرف الآن بالعطارة، وكان أمره بها عجبا، فانه اقتنى
كتبا من مفردات الطب وقانون ابن سينا، وصار إذا طلب منه
أحدهم يبيع عقّار من العقاقير، سأله عن سبب حاجته إليه وقام إلى
تلك الكتب فاستخرج له منها مزاياه وما يداوى به من العلل،
وبقى مدة على ذلك حتى توفاه الله بعد سنة ١٣٠٠

ومن شعره يمدح محمدا فتح الباب أفندي كبير كتاب ديوان البحر:
رأيت العلا تر تاد بعلا لنفسها

وقد خطبتها قبل ذاك الأوائل

فقمنا سراعا قاصدين لخرها

عساها بنا ترضى ويحلى التواصل

فلما رأتنا واقفين ببابها

أشارت لفتح الباب منها الأنامل

وكان رحمه الله على خبث لسانه طرفة من الطرف، وأعجوبة

من العجائب: في حسن المنادمة وحضور الذهن وسرعة الجواب،

رآه مرة بعضهم وهو مسافر إلى الزقازيق في القطار ومعه جراب

يحملة بيده، فقال له مداعبًا: أظن هذا جراب الحاوي، أي المشعبذ.

فقال: لا ياسيدي، هذا جراب الحوى!

ترجمة الشيخ مصطفى السفتى

مصطفى السفتى ابن مصطفى الفاكهانى السفتى ابن على السفتى ابن أحمد شلبى، نسبة إلى سفت القطايا من عمل..... (١) ولد بمصر القاهرة حوالى سنة ١٢٥٠، وأرسل إلى المكتب فى السابعة من سنه، ثم تنقل من مكتب لآخر حتى حفظ القرآن الكرىم، واشتغل بتجویده فى الأزهر، ثم شرع فى طلب العلم على شيوخ عصره، فقرأ الكفراوى على أحد العلماء المبتدئين فى التدريس، فكان يحفظ العبارات ولا يفقه لها معنى، ولما أعا عليه أمره، وتعذر عليه إعراب أمثلة من غير هذا الكتاب أعاد قراءته، ولكنه لم يستفد شيئاً. وكان بجوار داره دار السيد أحمد البقلى أحد المدرسين بالمدارس، وله ولد أراد أن يقرأ القرآن مع المترجم، فشكا المترجم له من تعسر النحو عليه، فأشار عليه بشراء متن الآجرومية وأمره بحفظه، ثم شرع فى إعرابه له على الطريقة الأزهرية، فلم يستفد شيئاً أيضاً، وشكا من ذلك للشيخ محمد الدمهورى فأمره بترك طلب النحو كلية حتى ينسى ما علق بذهنه منه، ففعل واقتصر على الفقه، فحضر ابن قاسم على الشيخ البيجورى، وكان

يتفهمه بخلاف النحو ، فمالت نفسه إليه فحضره مرة ثانية على الشيخ فُشوح البجيرمي ، ثم مرة ثالثة على الشيخ عبد الرحمن القباني أحد تلاميذ الشيخ فتوح المذكور ، وكان يطالعه لإخوانه المبتدئين ثم قرأ الكتب المتداولة بالأزهر ، ولم تفتر نفسه عن طلب النحو على مالاقيه فيه من الصعوبة ، فصار يتردد على الشيخ محمد الدمهوري ومعه متن الأجرومية فقط ، وصار الشيخ يقول : له اقرأ هذه الجملة ثم تفهم معناها بنفسك ولا تنظر لأقوال الشراح ، فيفعل ، فتارة كان يخطئ وتارة يصيب ، وسهل عليه فهم هذا العلم بهذه الطريقة ، وكان أحد أصحابه مبتلى بمثل ما ابتلى به ، وأخبره أن عند علي أفندي العروسي شرحا للرملي على الأجرومية ، فاستعاراه منه وقرأه معا ، فكانا يفهمان ما فيه فهما جيدا . ثم اجتمع المترجم بانسان كفيف البصر اسمه الشيخ علي الفيومي ، له باع في العربية ، فقرأ عليه مع صاحبه كتاب الشيخ خالد والأزهرية ، والقطر ، وابن عقيل ، ثم أعاد المترجم القطر على الشيخ الشيني بالأزهر ، وقرأ الخطيب على الشيخ علي الأشموني عم الشيخ محمد الأشموني الشهير ، وقرأ التحرير والمنهج على الشيخ مصطفى المبدط ، وهو آخر حضوره في الفقه ، ثم قرأ علوم البلاغة بالأزهر ، والعروض مع إعادة البيان بالمطالعة مع بعض تلاميذ رفاة بك : كقدرى باشا وإبراهيم بك مرزوق . وبعد ذلك انتخب مدرسا بالمدرسة

التجهيزية سنة ١٢٩٠ في أول نظارة رياض باشا على المعارف ، وكانوا
إذ ذاك يقرأون بها في الأتمودج للزمخشري في النجوم ، ثم كلف
بتأليف رسالة في الصرف ففعل . وقرأها للتلاميذ نحو ثلاث
سنوات ، ثم اتفق مع بعض المدرسين على تأليف رسائل في البلاغة
والصرف بتوسع أبسط من الرسالة الأولى ، وقرأها سنوات ،
ثم أمر بقراءة العروض والقوافي في المدارس ، فاستحسن رسالة
أبي الجيش وأقرأها ، ثم وضع رسالة في العروض والقوافي أتم
بها ما أراد أبو الجيش ، ولكن وقع ما منعه من تقديمها للمدارس ،
ثم كلف بوضع رسالة في علم الرسم ، فوضع رسالته « عنوان النجابة ،
في قواعد الكتابة » وقرئت بالمدارس

ونقل بعد ذلك للمدرسة الابتدائية المسماة (بالمبتديان) ، وكان
ذلك سنة ١٣٠٦ ، فألف بها رسالة بالاشتراك مع غيره في المترادفات ،
ثم نقل إلى المدرسة السنية الخاصة بتعليم البنات ، فبقي بها سنتين
ألف فيها رسالته « محاسن الأعمال » ، ولما عرضت على المجلس
العالي بنظارة المعارف استحسناها أعضاؤه جدا وقالوا : الأولى أن
تكون بيد المعلمات لا بيد المتعلمات ، ثم أخذت قوته في الوهن ،
وبصره في الضعف لكبر السن ، فعرض استقالته على النظارة مبينا
السبب . فأحيل على الكشف الطبي ، ثم أحيل على المعاش . وله من
التأليف غير ما تقدم : رسالة في الصرف اسمها « قرّة الطرف »

أوسع من المتقدمه، وأخرى في النحو وهي « منحة الوهاب ، في قواعد الإعراب » ، وهي نظم . ومن شعره :

الحمد لله لا فقر يضر ولا غنى يغر فلاحزن ولا فرح
وليس لى مطمع فى الناس يلجئنى

للذم والمدح إن ضنوا وإن سمحوا
وأسأل الله حاجاتى فيمنحنى

من فضله فوق ما أهوى وأقترح

وله :

قد يسر الله أسباب المعاش لنا

بالعقل والرزق موقوف على القسم

ليعلم العبد أن الله يرزق من

يشاء بالفضل لا بالسعى والهمم

فيطلب الرزق بالأسباب معتمدا

على الذى أوجد الأشياء من عدم

ولا يخاف ولا يرجو سواه ولا

يحيد عن منهج الأحكام والحكم

وكان رحمه الله طيب الخلق ، حسن المعاشرة ، اعتكف فى

داره بعد فصله من المدارس على الاشتغال بالعبادة ومذاكرة العلم

مع بعض من يسمر معهم من إخوانه وأخلائه ، أو استقلالا

بنفسه ، وكان في مبتدا أمره مولعا بالسماع ، وتشبث بتعلم الموسيقى
فلازم الشيخ محمدا شهاب الدين الشاعر المشهور ، وكان متقنا
لها ، فأخذها عنه وأتقنها ، ولـكثرة مطالعته لكتب الأءب صارت
له ملكة أدبية ، ومعرفة بجيد الشعر ونقده . ثم مازال على هذه
الحالة المحمودة حتى أرهقه الكبر وضعف عن المشى ، فلزم داره
لا يخرج منها إلا لصلاة الجمعة في أقرب مسجد إليه ، ومع ذلك
فلا يبلغه إلا بمشقة زائدة . وتوفاه الله إلى رحمة في يوم الثلاثاء

٢١ رمضان سنة ١٣٢٧

ترجمة محمد افندي اكل

هو محمد أكمل ابن عبدالغنى بك فكرى ابن لطف الله بن حسين ،
الشاعر الأديب الظريف ، ولد بالقاهرة ونشأ بها واعتنى والده
بتعليمه وتهذيبه ، ثم أدخله فى الديوان الخديوى للتعلم كتلميذ ،
وكان من كبار كتاب هذا الديوان مدة الخديو إسماعيل باشا ،
فجود الخط به وألم باللغة التركية ، وكانت له حدة بظهره شوهدت
خلقه ، ورأى والده أن لامطمع فى استخدامه بمنصب لائق ،
لحدبته وقصر قامته ، فاستحسن له طلب العلم بالأزهر ، وكان يرجو
أن يكون من كبار العلماء ، فلازم الطلب به وقرأ النحو والعلوم
العربية على الشيخ أحمد المنصورى ، والشيخ محمد البجيرمى ، وكان
أحدب مثله ، وكثيراً ما كان يقعه بجواره فى حلقة الدرس ، ثم
انقطع عن الطلب ولازم والده ، وكان والده جماعة للكتب ،
مغالياً فى اقتنائها شراءً واستنساخاً ، ينفق عليها جل ما يصل ليد ،
ويحيى الليالى فى مقابلة ما يستنسخه منها وتصحيحه وضبطه ، فكان
المرجم يعاونه فى ذلك ، واطلع بهذا السبب على كثير من الكتب
العلمية والأدبية والدواوين الشعرية ، وعاشر من كان يجتمع
بوالده من العلماء والأدباء وتردد عليهم واستفاد منهم ، وعرف

مدة طلبه بالأزهر كثيرا من أدبائه وشعرائه المجيدين كالشيخ
عبد الرحمن قرآنة ، والشيخ أحمد مفتاح ، وحفنى بك ناصف
وغيرهم ، فاستفاد منهم أيضًا ، ونظم الشعر والزجل وأدوار الغناء
واشتهر بحسن المحاضرة وملاحة التندير وسرعة الجواب وخفة
الروح ، وكان كثيرا ما يجعل محور تنديره دائرا على حديثه ،
فيأتى بما يضحك الثكلى ، بل كان لا يأنف من ذكرها فى شعره ،
كقوله من زجل فى الوباء الذى حل بمصر أوائل سنة ١٣٢٠
وما فعله الأطباء من الهجوم على الدور ، وترويع ربات
الخدور :

شاعِرٍ وناثِرِ زجَالٍ عالٍ
فنّ الأدبِ فيدهُ (١) لِعِبةِ

لِطِيفِ زكى وَفَهْمِ سَيَّالٍ
وَرِقَّةِ مِنْ اللهِ وَهَبَةِ

مُخْلِصِ لِإِخْوَانِهِ وَمِيَّالٍ
نَادِرَةٍ زَمَانُهُ وَلَهُ حَدَابَةِ

ما فيهش عيب ظاهر معروف
قصير ولكن فيه أقصر
واللى يعيش ياما بيشوف
واللى بيمشى يشوف أكثر

ومن ولوعه بحديثه شرع فى جمع كتاب فى نوادر الحدبان
وما قيل فيهم من الأشعار، وتراجم مشهورينهم، أخبرنى أنه جمع
منه جزءاً، إلا أنه لم يتمه .

ونقل والده مدة محمد توفيق باشا الخديو من الديوان إلى المحاكم
الأهلية قاضياً ، وتوفى يوم الثلاثاء ٢٩ المحرم سنة ١٣٠٧ وخلف
له وإخوته ضيعة بالصعيد أصاب المترجم منها ستون (فداناً)
باعها وبدد ثمنها بالإسراف حتى احتاج للاستخدام بديوان
الأوقاف بمرتب قليل دون الكفاف، وعاش فى ضيق ومضض
بعد ما تعود من السعة والرفاهية ، وأخذ يتقرب للخديو بنظم
التواريخ فى كل عيد واحتفال، وحل وترحال، وينشرها فى صحف
الأخبار رجاء أن تبلغه فىأخذ بيده ، فلم يستفد شيئاً وراح تغزله
فى الريح، وكان قصر شعره فى أواخر عمره على هذه التواريخ فنظم
منها الغث والسمين . وكنا إذا قرب عيد أو سفر أو قدوم للخديو
لا ننتفع به لاشتغاله بالنظم والحساب وإعمال الروية، فيصير

هذا ديدنه فى غدوه ورواحه ، وقيامه وقعوده ، حتى يمن الله عليه بشئ ى يرتضيه .

وترك له والده غير الضيعة دارا بسوق الزلط بيعت أيضا ، وترك خزانه كتب كبيرة قل أن تضارعها خزانه فى نفائس الكتب ونوادر الأسفار ، وهى التى أفنى عمره وماله فى جمعها ، وأتعب نفسه فى تصحيحها وضبطها ، وصبغ الورق وصقله لنسخ ما كان يستنسخه منها ، فوق ما كان يتكلفه من السعى فى البحث عنها فى الخزائن المهجورة وعند الورّاقين ، واتخذله فى داره مصنعا للتجليد ، واستخدم عدة نساخ أجرى عليهم المرتبات فاختصوا بالنسخ له لا يشتغلون لسواه ، وكان هو وعبد الحميد بك نافع من أدباء القرن الثالث عشر يتباريان فى ذلك ويتسابقان . أخبرنى المترجم عن والده أنه بلغه أن تاجراً من الورّاقين قدم من سفر بكتب أوصاه عبد الحميد بك نافع بجلبها له وبينها ديوان البحرى ، وكان إذ ذاك لم يطبع بل لا يعرف فى مصر إلا باسمه ، فأسرع إليه وبذل له مالا فوق قيمة الديوان على أن يعيره له يوماً وليلة فقط يطالع فيه ، فرضى وأعاره إياه ، فلما أتى به لداره أعطاه لمجلده ففك له تجليده وأحضر فى الحال عدة نساخ فرقه عليهم كراريس فنسخوه وقابلوه ، ولم يمض اليوم والليلة إلا وقد ردت النسخة الأصلية لصاحبها مجلدة كما كانت ، ثم قابله بعد ذلك عبد الحميد بك وأخذ يفآخره

بوجود الديوان عنده واختصاصه به ، فقال له : خفض عليك
يا أخي هذا شيء أكلنا عليه وشربنا حتى مججناه ، ثم أخرج
له نسخة الديوان من الخزانة . وبلغه مرة وهو يسمر مع بعض
أصحابه أن بعضهم رأى عند فلان الوراق رسالة من الرسائل ،
وكان هو يتطلبها من زمن وينشدها فلا يجدها ، فلم يسعه
إلا أن قام في الحال وأخذ يسأل عن دار الوراق من هنا وهناك
حتى اهتدى إليها بعد ما مضى هزيع من الليل ، فأيقظه من
نومه وسأومه في الرسالة بقيمة فوق قيمتها ، ولم يمهل للصباح بل
أنزله من الدار وذهب معه إلى حانوته ففتحه ليلاً وأخرجها له
ولم يهدأ له بال حتى باتت الرسالة عنده . فلما مات عرض
المترجم كتبه للبيع فبيعت وتفرقت واقتنى نفائسها ونوادرها
الكونت لندبرج قنصل السويد بمصر ، وكان من مستعربي
الإفرنج المولعين بجمع الكتب العربية ، وأدركت أنا أواخرها
فاقتنيت منها بضعة عشر كتاباً ، منها ما هو بخط عبد الغنى
بك نفسه ، وبحواشيا آثار التصحيح واختلاف النسخ التي كان
يقابلها بها .

وكان أول التقائي بالمترجم في دار ابن أخي محمود توفيق بك ،
وهي إذ ذاك مجمع الأدباء ومحط رجال الفضلاء ، فلما رأيته
استغربت شكله واستمذحت محاضرتة ، ثم رأيته يناقش الأدباء

ويطرحهم الشعر، فدنوت منه وكنت صغيراً في أول الطلب ،
وقد تعذر على فهم باب أفعل التفضيل ، وأجهدت نفسي في
درسين متواليين على تفهمه ، فلم يفتح على بشيء فيه ، فسألته عنه
فأوضحه لي بعبارة سهلت على فهمه ، فكان بعد ذلك كثيراً ما يقول
لي بمزحاً : إذا ذكرت شيوخك فاذا كرتني معهم ولا تنسى . ثم
تأهل بنت حنفي بك ، وكان لأسرتها نوع اتصال بنا ، فاتصلت
المودة بيني وبينه بهذا السبب ، وازدادت ملازمته لي لما سكن
بجوارنا ، فكان يزورني عصر كل يوم ويبقى حتى نسمر معا ثم
ينصرف ، فتارة كنا نحي الليالي بمسامرات أدبية ومذاكرات علمية ،
أو بمطالعة بعض الكتب ، وتارة بمقابلة ما كنت أستنسخه
وتصحيحه ، وكان لا يمل من المقابلة مهما يطل الوقت فيها ، ويقول :
هذا شيء درني عليه والدي وعودني إياه من الصغر . وأشار عليّ
مرة أستاذنا العلامة محمد محمود الشنقيطي أن أطلع أمالي أبي علي
القالبي مطالعة إمعان وتدبر ، ولم تكن طبعت بعد ، فاستنسخت
منها كراريس عكفت على مطالعتها ، وأخبرت المترجم أنني سأحتجج
عن الناس بضعة أيام حتى أستوفي ما بهذه الكراريس ، فغاب عني
ثلاثة أيام ثم حضرو معه زجل ، ينحى فيه على الأستاذ وعلي أبي عليّ
القالبي اللذين تسببا في انقطاعي عن الإخوان ، ويذكر فيه بعض
من كان يجتمع بنا :

المذهب

مشتاق قوى ليدى السحنة دى مودتك حيطى ميطى
أبو على كان لك محنة الله يجازى الشنقيطى

(دور)

يا سيّد أحمد يا تيمور ياللى منعنا من أنسك
هو ودادك من بنور حتى كسرتة من نفسك
أهديك سلام يشحن وابور يقطع محطات على حسك
هو الكتاب ده م الجنه ولا كلام المجريطى
أبو على كان لك محنة الله يجازى الشنقيطى

(دور)

بكره يجينا الشيخ مفتاح يحلى السهر فى القمارى
نفضل ندردش للأصباح والشيخ بروحه موش دارى
عبيط خفيف عالم فلاح بجوز شوارب هوارى
أوقات كده يبقى زنه واوقات تشوفه رهريطى
أبو على كان لك محنة الله يجازى الشنقيطى

(دور)

إذا مشى تلقاه يجرى راخى تملى كيغانه
م الكهربا تشوفه دغرى رمح وطرطق إودانه
وإذا اشترى حاجة يورى جميع ما جابه لإخوانه

وتبقى زيطة لها رنه واحوال معيشته رطريطى
أبو على كان لك محنه الله يجازى الشنقيطى

(دور)

عبد الملك راجل زنديق وابنه صبح منه مخلول
والبابى لآخر بالتحقيق جاهل ثقيل دينه مخلول
ومذهبه مذهب تلفيق كله خراف من غير معقول
لا فرض عنده ولا سنه ده دين إباحى شليطى
أبو على كان لك محنه الله يجازى الشنقيطى

(دور)

أما القدورى بنياته أفغانى لكن يتدحح
وركبه ودقنه وذاته على حماره يتمرجح
غريب فى شكله وصفاته نادر فى بابيه متلحاح
يدى ملامح للورنه أو الزغاليل الغيطى
أبو على كان لك محنه الله يجازى الشنقيطى

(دور)

أما الدميرى القلعاوى تيس تركى أبيض وبلحيه
وأبو فصاده الشناوى أعرج ملوى كالحية
بدقن بيضا حلفاوى وزعيق يبطل على ميه
غبي وسخ كالشيخ منه فكره قذاره مخيطى

أبو علي كان لك محنه الله يجازي الشنقيطي

(دور)

أهل الأدب ماتوا بحسره م اللي شفوه في دي الأيام
الناس بقت بينهم نفره والمسلمين صارت أخصام
وكل يوم تلقى نشره تملأ قلوب الناس أوهام
بيقفشولهم على لحنه بالوهم عايشين سليطي
أبو علي كان له محنه الله يجازي الشنقيطي

دور المديح

حسن التخلص بالمحمود طه النبي الهادي الأمي
أفضل رسول كان به موعود هدى اليهودي والذمي
وفاز من اسلم بالمقصود نال الشرف من به سمي
باقي الملل صارت كهنه كل كتبها خليطي
أبو علي كان له محنه الله يجازي الشنقيطي

دور الاستغفار

يارب انا مذنب عاصي محتاج لعفوك والغفران
من العذاب أرجو خلاصي ودخولي في جنة عدنان
أنا نحيف موش جعاصي مليش تجلد على النيران
عفو الكريم أعظم منه على عبيده الحفليطي
أبو علي كان لك محنه الله يجازي الشنقيطي

دور الختام

ياهل الأدب راجي منكم
فن الزجل يروى عنكم
الله يخلى أفضالكم
وابقى كده فطنه وشنه
أبو على كان لك محنه
غض العيون عن زلاتي
أما أنا مش أدباتي
وأنول سعودي لماتي
وافرح وترقع زغريطي
الله يجازي الشنقيطي
انتهى .

وإنما يظهر حسن هذا الزجل لمن يعرف المذكورين فيه
فيطبق ما ذكر عنهم على هيئاتهم وأحوالهم، ومراده بالقدوري والدميري
شخصان كان يلقبهما بهذين اللقبين. والسبب في ذلك أني أطلعت على
رسالة عندي جمعها الشيخ أحمد الفحماوي صاحب الخط الحسن،
المشهور بكتابة لزوم ما يلزم للمعري، وسماها (بنات أفكار، وعرائس
أبكار) في ألقاب أهل العصر، ذكر بها كني وألقابا وضعها لفضلاء
أواخر القرن الثالث عشر عبد الحميد بك نافع، وإبراهيم أفندي
طاهر الشاعر الرقيق المشهور على سبيل المزاح والدعابة، فلحقا كل
واحد بلقب شاعر متقدم، أو رجل مشهور يوافق اسمه هيئة
الملقب به. أو شيئا يغلب على أخلاقه وأحواله، كتلقبهما مصطفى
أفندي المنعوت بكامل بالعكوك، لأنه كان قصيرا جدا معوج
القدمين، وتلقبهما الشيخ محمد الرافعي الكبير شيخ رواق الشاميين

بالأزهر وأحد كبار علمائه بملا مسكين ، لأنه كان نحيفا وبقوامه
بعض احد يداب يرى كأنه تواضع وانكسار ، وتلقيهما عبد الغنى
بك أبا المترجم بالأخطل ، لأنه كان ضخيم الجسم كبير الهامة .
فلما اطلع المترجم عليها جن بها جنونا وشرع في وضع رسالة تماثلها
في فضلاء عصره ، وسألني مشاركته فيها كما فعل ذاك الأديبان
فامتنتت خشية اللوم ، فانفرد هو بتأليفها وأتى فيها بغرائب ذهب
أغلبها عن الذهن لطول العهد ، فمن ذلك تلقيبه للعالم الفاضل على
رفاعة باشا ابن رفاعة بك المشهور ، بابن المقفع لنحافته ودخول
شذقيه ، وتلقيبه للعالم الفاضل يحيى أفندي الأتغاني ، بالقدورى
لغرابة شكله وقصر ساقيه تشبيها له بالقدر من الفخار ، والقدورى
اسم عالم من الحنفية مشهور . وكان الشيخ محمد الحنفى المهدي
ابن أخى مفتى مصر الشيخ العباسى المهدي ولعنا بدم الناس منقبا
عن معايبهم ، لهجاءهم فى المجالس ، لم يسلم منه أحد حتى عمه ،
واشتهر بذلك حتى أبغضه عارفوه وتحاموا عن الاجتماع به ، فلقبه
بابن هرمة ، وهى كلمة سب عند العامة ، فقلت له : هذا لا يستقيم لك
لأن ابن هرمة الشاعر بفتح أوله . فتأفف وقال : لأجد له لقباً ينطبق
عليه غير هذا فدعنى من شنقيطيتك . ثم لما فرغ منها سألته عما
لقب به نفسه ، ففكر وقال : أحسن لقب ينزل على ابن قتيبة ، ثم

تركه وتلقب بالمقوقس. وضاعت هذه الرسالة فيما ضاع من أوراقه وأشعاره، ويغلب على الظن أنه مزقها لأنه وقع له بسببها نفور بينه وبين بعض من لقبهم، فانه لما لقب صاحبنا وصاحبه الشيخ أحمد مفتاح لسلامة طويته، بالأبلة البغدادي، غضب منه وكاد يتفاقم الشر بينهما. وغضب منه صاحب آخر كان قصيرا ممتلئا يتدحرج في مشيته كما يتدحرج البط، لأنه لقبه بابن بطوطة، فأخفى الرسالة لهذا السبب، وطوى ذكرها

وكان رحمه الله مجيدا في الزجل، متقنا لصياغة الأديوار التي يتغنى بها، وأكثر ما كان متداولاً منها بين المغنين في عصره كان من نظمه، وأما شعره فالإجادة فيه قليلة إلا ما ضمته النكت والتنديرات العامية، فمن أحسن ما وقفت عليه منه قوله من مرثية في صاحبه على رفاة باشا :

جزعت وللحرّ أن يجزعا	وودّعت صبرى إذ ودّعا
وجادت عيوني على بخلها	وُحِق لها اليوم أن تدمعا
وروّع قلبي النوى بعد ما	أمنت ومثلى كم رُوعا
لحا الله يوما أشاعوا به	وقالوا أمير العلا شيّعا
فما كان أصعب تأبينه	وما كان أسوأ موقعا
وما كان حتى البكاء ولكن	فزعت ولا بدع أن افزعا
تجرعت من هوله كل صاب	وغيرى من الناس كم جرّعا

وما دار في خلدي أني أرى البدر يرضى الثرى مضجعا
ولكن شأن الزمان عجيب يقول النعي : عليّ قضى
نعي سيدا صيته طائر فدكت رواسي الدني بعده
وغابت شمس المعارف لما ذوى غصنه بعد ما أينعا
فقل للخطابة ذوى أسي ولا تطلبي بعده مصقعا
وقل للكتابة لا تحفلي بمن يتبجح في المدعى
وقل للعلوم فقدت أميرا مضى تاركا فضله مشرعا
وقال موثريا باسم الطبيب سعد بك سامح :

يا سعد مالك معرضا عنى وقلبي فيك طامح
إني أتيتك قائلا أنا تائب يا سعد سامح
وقال موثريا باسم محمد ثابت :

إن كنت في ريب بصدق محبتي وسمعت عنى ما تقوّل شامت
فاعلم فديتك دائما أنى على عهد المحبة يا محمد ثابت
ولما مرضت شقيقتي السيدة عائشة التيمورية وأحست بدنو
الأجل ، نظمت في مرضها أبياتا لتكتب على قبرها، وتركت مصراع
التاريخ لمن ينظمه بعدها . وهى :

قد كنت عائشة فنوديت ارجعي للقبر مأوى كل حى فان

فأتيت صفر الكف عن مرضاته
جرّدت من ثوب الهدى لكنّ لي
ومقرّة بالعجز والعصيان
تاجا من الإسلام والإيمان
ونزلته مستشفعا بمحمد
وتوسّلي عفوا من الرحمن
أصبحت من زار الحدى راجيا
خير الدعاء وتلاوة القرآن
لكم البقا إخوان ديني أرخوا
فنظم المترجم التاريخ بقوله: (قبر لعائشة سما بجنان)

٣٠٢ ١١١ ١٠١ ١٠٦
١٣٢٠

وله غير ذلك مما ذهب عن الذهن الآن ، ولكثرة ممارسته
للتواريخ الشعرية كان يأتي فيها أحيانا بغرائب في إبراز المقصود
بدون حشو ، كقوله في تاريخ ولادة ولده عبد الغنى : (عيد الغنى
ابن أكمل) .

وكانت وفاته فجأة قبل ظهر يوم الثلاثاء ٢٢ ذى القعدة
سنة ١٣٢١ ودفن بمقابر باب النصر ، رحمه الله تعالى .

ولم يشتهر ولده عبد الغنى بك بعلم ، بل كان بارعا في الكتابة
التركية والعربية فقط ، وكان يقرض الشعر أحيانا ، فمن ذلك قوله هاجيا
الشيخ مصطفى قشيشة مدعيا أنه لم يرد إليه كتب استعارها منه ، وكان
الرجل من الفضلاء ، وكانت له زريبة لتربية البقر يكتسب منها
بييع اللبن . فقال فيه :

شيخ سوء بفعله المنكور
عامل الناس بازدياد دهاء
واستمال البسيط من لم يطالع
أشعل الذهن في اللآمة حتى
قل ما يلحظ الصحيح بعين
صار دهرًا بصحبتى مستفيدا
واقْتداءً بحبك الشيء يعمى
وتمادى الضلال بضع سنين
واحتدام الخصام نكران كتب
وانثنى الآن منكرًا مستغيا
جعل الله عسره مستديما

أنسى معنا بحله المشهور
زاد في الوقع نعمة الطنبور
من خداع القصير في المسطور
أورث الصهر أسوأ المقدور
غير خلط المنظوم بالمشور
وفر مال من كهنزى الموفور
كان ما صار من خطأ المشعور
نال منها ما ليس بالمحصور
شد فيها عن نهجها المبرور
كافرا نعمتى لدى الجمهور
وثواه الإله في التنور

وقال فيه أيضًا :

تسرب الخمر للتداوى احتيالاً
دمت في منقع الزريرة روثاً
لاشفي الله منك للجسم عله
بك يشتم في الخياشيم جله

والجلة عند العامة هي روث البقر. ولا يخفى ما في القصيدة
من الضرورات كقوله : أنسى ولا يستقيم الوزن إلا
بحذف الياء ، وقوله : وتمادى الضلال فعدها وهو لازم .
وغير ذلك . فلما اطلع الشيخ مصطفى على القصيدة

والبيتين طلب من صديقنا الشيخ أحمد مفتاح أن يجيئه
على لسانه ، فنظم قصيدة وبيتين من البحر والقافية في ٢٤
ذى الحجة سنة ١٣٠٤ . فقال :

لهوى النفس فى اقتحام الأمور حكمة تستفز لب الخبير
كل داء يبرا ولو بعد حين غير داء الهوى وداء الغرور
قف قليلا وأمعن الفكر فيما أظهرته الغيوب كل الظهور
ظن بعض الرعاع والظن إثم بورد النفس أسوأ المقدور
أن سيفى لدى الهجاء كهام وقناتى تلين فى كف زور
فتعامى ومج من فيه روثا وقبيح بالمرء خبت الضمير

يشير بهذا البيت إلى قول عبد الغنى بك : دمت فى
منقع الخ .

عشت معه على الضغائن سرا لا أرى منه غير نذل نفور
فانتقى لى بعد انتقالى سطورا هو أولى بلفظها المهجور
ظنها الشعر ضلة ليس يدرى أن دون القريض خوض البحور
إن عبد الغنى عبد جهول ليس يدرى قبيله من دبير
فيه ما شئت قلّه غير مبال من ضلال وخدعة وفجور
عرفته الإخوان بالخفض حتى ميزته بالخفض والتسكير

فاتقوه وأخبت الناس طرا
ورماني زورا بنكران كتب
أى وفر أفاد أم أى كتب
حمل الكتب لا لعلم ولا كن
وانتمى للثقات فى العلم حتى
يا عديم الذمام فى كل أمر
هاك منى عديمة المثل أنحت
وقال :

إن عبد الغنى عبد فقير
جمع الدهر فيه ضدين حتى
لم ير الناس فى السفاهة مثله
أبرزته العيون للخلق مُثله

رحم الله الجميع ، وتغمدهم بعفوه وغفرانه .

زجزة الشيخ حسن الطويل

المالكي (١)

الإمام العلامة، شيخ الشيوخ، وأستاذ الأستاذين، وأحد من تفرّد في مصر بالبراعة في المعقول والمنقول، وأتقن العلوم العديدة مع الزهد الصحيح والورع وعلو النفس، والتأدب بأداب الشرع والتمسك بالكلمات

وهو حسن الطويل ابن أحمد الطويل ابن علي، ولد بمنية شهالة إحدى قرى المنوفية، حوالي سنة ١٢٥٠ كما سمعته من تلميذه الخاص العلامة الشيخ أحمد أبي خطوة. وذكر الشيخ بشير الظافر في كتابه «اليواقيت الثمينة»، في أعيان مذهب عالم المدبنة «أنه ولد سنة ١٢٥٦، وتربى بهذه القرية فقرأ القرآن الكريم وحفظه بها، ثم انتقل إلى طنطا وهو صغير، فاشتغل بتجويد القرآن وحفظ المتون بالمسجد الأحمدي نحو سنتين أو ثلاث، ثم حضر للقاهرة واشتغل بطلب العلم بالجامع الأزهر، فقرأ على شيوخ العصر، مثل الشيخ محمد عليش المالكي، في الفقه والحساب وغيرها، وعلى

(١) في هامش الاصل بخط المؤلف :
(له ترجمة في الضياء ج ١ ص ٦٩٠) بريد مجلة الضياء

الشيخ حسن العدوي الحزاوي، والشيخ إبراهيم السقا، والشيخ محمد
الأشموني، والشيخ محمد الإنبائي، والشيخ أحمد شرف الدين
المرصفي، فظهرت عليه النجابة، وابتدأ في حضور السعد، وكان
من دأبه في أول أمره معاكسة المشايخ في الدروس بكثرة الأسئلة
والمناقشات، حتى حدث ما اضطره إلى الانقطاع عن الأزهر،
وسبب ذلك أن أبناء العمدة وأقاربهم طلبوا للدخول في الجندية
بقانون وضع لذلك، أمر به سعيد باشا والي مصر، ولما كان المترجم
من أقارب بعض مشايخ قريته طلب معهم . وجند مع من
جند فصار واحدا منهم، إلا أنه لم يسلك مسلك أكثرهم
في التفريط في الفروض، فكان يواظب على الصلوات
والأوراد، وكان الوالي يكره من الجند من يصلي، وحدث أن
المترجم جاءه من شيخه الشيخ أحمد شرف الدين المرصفي كتاب
فيه استغاثة يأمره بتلاوتها عقب كل صلاة، رجاء أن تفرج كربه
وتخلصه من الجندية، فوقع الكتاب في أيديهم، وعدوه لذلك
مذنبا، وكان عقاب المذنبين عندهم إهمال تعليمهم الفنون العسكرية
وتشغيلهم في السكك الحديدية وما أشبهها من الأعمال الشاقة،
فكان المترجم يشتغل في هذه الأعمال بهمة زائدة تأديبا لنفسه،
لأنه ظن ما وقع له عقابا على جراته على مشايخه، وكان سعيد
باشا يلقب المطيعين من الجند بالفراعنة، والعاصين المذنبين بالماردة

فغضب مرة على النماردة وأمر بطردهم من الجيش ، فخرجوا منه
إلا أنهم بقوا تابعين ، وهم ما كانوا يسمونهم بالعساكر الأمدادية ،
وخرج المترجم معهم ، فأقام بقريته مدة ، وكان قبل ذلك يجتمع
على الشيخ خالد أحد مشايخ الطريق ، فرأى أن يسافر إليه ، فسافر
إلى بلدته المسماة بالسريرية من أعمال المنية أي منية ابن الخصيب ،
ولزمه بعض أشهر عكف فيها على الاشتغال بالعلم والطريق

ثم طلب إلى الجندية مرة ثانية ، فذهب إليه أبوه ليحضره ، وأراد
الشيخ خالد منعه فلم يرض هو بل عاد مع أبيه إلى قريته فوجدهم
أهملوا طلبه ، فحمد الله . وأراد والده إبقاءه معه في القرية خوفا من
أن يعود إلى الصعيد ، فضاقت المترجم بهذا الأمر وخرج من غير
علم أبيه من القرية وهو لا يملك شيئا ، فمشى على قدميه يبيت في كل
بلدة تصادفه حتى وصل إلى القاهرة ، ودخلها من جهة باب الحديد
فاشترى ممامعه شيئا أكله ، وذهب إلى الأزهر فصادف الشيخ محمد
السقّارى في طريقه ، فلما رأى المترجم أسرع إليه وهش له ،
وأخبره أنه يطلبه من مدة . ثم أنزله بداره وحلف أن يبقى بها شهرا
لا يتكلف شيئا من عنده ، وكان مراد السقّارى نظم قصيدة يمدح
بها أحد الأُمراء ، فنظمها له وأخذ السقّارى عليها أربعين دينارا
جائزة . ولما انقضى الشهر حَفَّ الله المترجم بعنايته ، فطلبه الشيخ
حسن العدوى لتصحيح البخارى ، وكان شرع في طبعه فانتفع بأجر

التصحيح . ثم طلب إلى ديوان الجهادية لتصحيح ما يطبع به ، فقابل هناك أحمد عبيد بك رئيس الترجمة ، وامتحنه فأعجب به ، وكاد يطير فرحا ، وقال عنه : هذا جوهره خفيت عنا ، واستخدمه في الحال للتصحيح بهذا الديوان ، وسعى له حتى مسحوا اسمه من الجيش حتى لا يعاد طلبه

وكان المترجم في هذه المدة عاد لطلب العلم والاشتغال به ، مع القيام بالتصحيح بالديوان ، حتى شهد له شيوخه بالتأهيل للتدريس فدرس بالأزهر ، وكان أول درس قرأه في شوال سنة ١٢٨٣ وابتدأ فيه بالقراءة في الأزهرية . ولم يقتصر رحمه الله على العلوم المتداولة بالأزهر ، بل بحث ونقب ، واجتمع بالشيخ محمد أكرم الأفغانى فتلقى عنه العلوم الحكيمية ، وبرع فيها ، وتلقى عن تلميذه خلاصة الحساب لبهاء الدين العاملى ، ونظر في الهندسة والجبر وسائر العلوم الرياضية ، وقرأ التاريخ قراءة إمعان وتدبر ، وطالع كتب اللغة والأدب ، ونظم الشعر السهل ، وكتب الترسل البديع ، وكان لا يسمع عن أحد يعرف علما إلا ويسعى إليه ، ويتلقاه عنه كائنا من كان ، حتى صار نسيج وحده ، وقريع دهره ، في سائر العلوم ، مع بعد النظر في السياسة ، وسعة العقل ، وسلامة العقيدة . وشدة الإنكار على البدع والمستحدثات في الدين

وقد قرأ عليه في الأزهر كثيرون من علمائه المشهورين ، فكان

الشيخ الأجل أحمد أبو خطوة . والشيخ محمد عبده ، والسيد أحمد الشريف ، وإبراهيم بك اللقاني ، والشيخ محمد راضي البوليني ، ممن قرأ عليه في الطبقة الأولى من تلاميذه . ثم قرأت عليه طبقة ثانية منها الشيخ عبد الرحمن فوده ، والشيخ محمد الغريني ، والشيخ عبد الرحمن قُراعة ، وقرأ عليه أيضا الشيخ محمد بخيت ، والشيخ داغر ، والشيخ محمد المغربي ، والشيخ أحمد الزرقاني ، وغيرهم ممن لا يحصون ، واختص به الشيخ أحمد أبو خطوة ، والشيخ راضي البوليني ، والشيخ عبد الرحمن فوده ، والشيخ عبد الرحمن قراعة ، فكانوا يقرأون عليه في داره دروسا غير الدروس الأزهرية ، وصحبوه ولازموه ، فانتفعوا به في دينهم وأخلاقهم فوق انتفاعهم بعلمه

ثم نقل إلى نظارة المعارف وعين للتفتيش فيها ، ولما مات الشيخ زين المرصفي مفتشها الأول سنة ١٣٠٠ ، وأقيم بدله الشيخ حمزة فتح الله المفتش الثاني جعل المترجم مفتشا ثانيا . ثم نقل مدرسا بمدرسة دار العلوم ، فعم الانتفاع به ، وتخرج عليه أحسن من نراهم الآن من الأساتذة المتخرجين في هذه المدرسة ، كالشيخ الفاضل حسن منصور ، والشيخ محمد المهدي ، والشيخ محمد الخضري ، والشيخ عبد الوهاب النجار . وغيرهم من أفاضل الوقت وبقي في هذه المدرسة إلى سنة ١٣١٧ ، وكانوا شرعوا في الامتحان

قبل الإجازة المدرسية كالعادة ، فلما كانت ليلة السبت ١٧ صفر
سهر كعادته . ثم ذهب لداره معافى ليس به شئ ، واستيقظ فتوضأ
وصلى الصبح . ثم طلب الإفطار والقهوة ، وأخذته غفوة كان فيها
القضاء المحتوم ، فلم تشرق شمس ذلك اليوم إلا والنعاة ينعونه
والمؤذنون يؤذنون على المآذن كالعادة في موت كبار العلماء ، وأم داره
شيخ الأزهر الشيخ عبد الرحمن الشربيني ، والشيخ محمد عبده المفتي ،
وجميع العلماء والفضلاء ، وكبار نظارة المعارف ، وتلاميذه من الأزهر
و دار العلوم . وشيعت جنازته تشييعا سنيا . فصلوا عليه في الأزهر
ودفنوه بمقابر المجاورين . رحمه الله وغفر له عدد حسناته .
ومن غريب المصادفات أنه زارني قبل وفاته بيومين في ليلة مقمرة ،
فجلسنا في صحن الدار نلعب الشطرنج ، وكان مولعابه مع قلة إجازته فيه .
فقال لي عند ما أراد الذهاب : نحن الآن في الامتحان ، وقد قربت
الإجازة ، وصدري ضيق في هذه الأيام من الناس . ونفسي تجنح
للعزلة . فهل تعرف لي مكانا أفضى فيه بعض أيام بعيدا عنهم ؟ فقلت :
ياسيدي ، إذا انتهى الامتحان فالأوفق أن نسا فر معا إلى ضيعتنا التي
بقويسنا فنخلو فيها بكتاب نقرؤه ، فقال : نعم الرأي هذا ، وسأستصح
معي ولدي حسنا ليشارك . معنا في القراءة . ثم لم يمض يومان حتى
نقله الله إلى جواره ، ويسر له العزلة ولكن في دار قراره ،
فأصبت فيه مصيبة لم أصبها في بعيد ولا قريب ، لما كان له

على من الفضل ، ولو لم يكن له على سوى تصحيح العقيدة وتأديبي
بآداب الحنيفة السمحاء لكفى .

أما سبب اجتماعي به وقراءتي عليه ، فإني كنت خرجت من
المدارس بعد تلقي ما يتلقى بها من العلوم المعروفة وأنا في سن
العشرين ، وقد علق بالعقيدة شيء من آثار التربية بهذه المدارس
إلا أني كنت مولعا من الصغر بالإسلام ومحاسنه ، والمطالعة في
السيرة النبوية ، ومناقب الأصحاب والخلفاء الراشدين ، فكان
ينشرح صدرى لأشياء ، وينقبض من أشياء تعرض لي فيها شبهات ،
ثم كنت أعرض ما يظهر لي من مكارم الشريعة ومقاصدها على
ما عليه الناس من البدع والمحدثات التي تمسكوا بها ، وجعلوها من
الأصول الدينية ، فأجد التناقض والتصادم ، فصرت أتردد على
كثير من كبار علماء الأزهر وغيرهم ، لعلى أجد عندهم مفرجا
فأراهم أحرص من العامة على هذه الخزعبلات ، حتى كدت أحكم
بأنها من الدين ، وأن الأمر دائر بين شيئين ، فإما أن يكون
الدين دين خرافات وخزعبلات تنفر منها الطباع السليمة ، وإما
أن يكون مانراه حقاً ، ولكن يمنعنا من قبوله إلحاد تأصل في النفس .
حتى أرشدني بعض الأصحاب للمترجم ، فأخذت في السؤال عنه
من أهل العلم ، فكانوا ينفرونني منه ، حتى بالغ بعضهم — عامله الله
بما يستحق — ورماه بالزندقة ، فقلت : إذا كنت لم أجد طابعتي

عند من تسمونهم بالصلاح والورع ، فلعلى أصيبتها عند الزنادقة .
ثم سعت في الاجتماع به ، وسألته القراءة عليه ، والاهتداء بهديه ،
فقرأت عليه العلوم العربية والمنطق ، وأعدت عليه الصرف
بتوسّع وعلوم البلاغة . ثم قرأت طرفا من الحكمة في شرح
الدواني على هياكل النور للسهروردي ، وشرح رسالة الزوراء
وغير ذلك . ولما رأني مجدداً في التحصيل ، قرر لي درسا ثانيا بعد
العشاء كنا نقرأ فيه كتب الأدب ونحوها ، وأنا في كلّ هذه المدة
أستوضح منه ما أشكل عليّ فيحله لي ، فكان اجتماعي به ومصاحبتي
إياه من أكبر نعم الله عليّ في ديني ، وكثيرا ما كان يغضب مني
ويؤنّبني إذا رأى مني تهاونا في الصلاة .

وكان من عاداته الخروج إلى الريف كل خميس ترويحاً للنفس ،
فكان يذهب إلى الأميرية من ضواحي القاهرة عند تلميذه الشيخ
عبد الرحمن فودة فيقضى عنده الخميس والجمعة ويعود يوم السبت ،
فلما عزفته صار يذهب للأميرية بعض الأخمسة ويسافر في بعضها
إلى ضيعتنا التي بقويسنا أو إلى حلوان حينما نسكن بها شتاء ،
فكنت أقضى معه هذين اليومين في مطالعة واشتغال ، حتى في حالة
المشي والتنزه كنت أحمل الكتاب معي وأسمعه فيه ، فيقرر لي المسائل
ونحن سائران .

وكان رحمه الله سنيّ العقيدة ، صوفي المشرب . لا يحد عن

الشرع قيد إصبع ، أخذًا بذهب الإمام ابن تيمية في مسألة الاستغاثة بالقبور والاستشفاء بالموتى ، منكرًا على المبتدعة أشد إنكار ، آية من آيات الله في معرفة التفسير وحل مشكلات الكتاب المبين ، متضلعا من الحديث ، متحصنا بالشرعية في كل علم يقرؤه من كلام أو حكمة أو تصوف أو رياضيات أو طبيعيات . وخص باستحضار الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في الاستشهاد بها على حل المشكلات الدينية ، فكان أمره في ذلك عجبًا ، وشأنه فيه مستغربًا ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . ومع انحراف علماء الأزهري عنه لإنكاره عليهم بدعهم وما درجوا عليه فانهم كانوا مقرين بفضله ، وكثيرا ما كانوا يحتاجون إليه في معرفة أسرار الشرعية ، وحل مشكلاتها ، والرد على الطاعنين عليها من أرباب النحل الأخرى أو المرتدين

أما أخلاقه فزهد غريب وعلو نفس عن الدنيا ، وبعد عن الرياء ، وتواضع مع كل إنسان ، وسداجة في المطعم والملبس والمسكن . لا ينفق على نفسه من مرتبه إلا القليل ويتصدق بالباقي في الخفاء ، فلما مات قام الصراخ في دور كثيرة يسكنها فقراء وأرامل ، وكان يعولهم في كل شهر بما فضل من نفقته ، وما علم بهم أحد حتى من أقرب الناس إليه وأخصهم به إلا بعد موته .

وكان كثير الاشتغال بأمر المسلمين ، دائم الهموم لما أصابهم من التأخر في مشارق الأرض ومغاربها ، منتظرا فرجا يأتيهم ، ولطفا من الله يحفهم ، فتقوم فيهم دولة شعارها الدين ، تقوى على جمع شملهم . ولذلك لما قام المهدي بالسودان وانتصر انتصاراته المشهورة واستولى على البلاد السودانية ، أحسن المترجم فيه الظن وقام بنصرته بقلبه ولسانه ، حتى اضطر الإنكليز أن يسيروا وراءه عينًا يخبرهم بحركاته وسكناته ، وكاد يقع فيما لا تحمد عقباه ، لولا أن سلمه الله .

ولمداومة اشتغاله بالإقراء وتربية النفوس لم يؤلف تأليفاً ، غير أن نظارة المعارف لما كلفت كل مدرس بجمع ما يلقى من الدروس ، وكان يدرّس التفسير بمدرسة دارالعلوم ، شرع في جمع ذلك في كتاب سماه « عنوان البيان » لم يطبع منه غير المقدمة سنة ١٣١٦ ، اى قبل وفاته بسنة

الشيخ احمد ابوخطوة

الحنفي

أحمد بن أحمد بن محمد بن حسب الله بن علي بن محمد بن علي
ابن مذكور بن أبي خطوة المدفون في مطوبس، ابن مذكور بن شكر
ابن هاشم بن محمد، وهو أول من نزل بكفر ربيع منهم ودفن به،
ابن سالم المدفون بالحددين بالبحيرة، ابن موسى بن حسن بن أحمد
ابن علي بن شكر بن إبراهيم بن أحمد بن شاكر بن حسن بن علي
ابن محمد بن علي بن السيد عبد الرحيم القنائي صاحب الضريح
المشهور بقنا ابن هريدي بن جعفر بن حماد بن سعادة بن
عبد اللطيف القاسم ابن عبد الله بن عبد اللطيف بن هاشم بن عبد الجواد
ابن محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق ابن محمد
الباقر ابن علي زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن
أبي طالب: هكذا أملى علي نسبة من لفظه. ولد في ٢٠ ذي القعدة
سنة ١٢٦٨ ببلدة كفر ربيع التابعة لتلا من أعمال المنوفية، ونشأ بها،
فحفظ القرآن وبعض المتون، ثم سافر للقاهرة لطلب العلم بالأزهر
في ١٦ شوال سنة ١٢٨١ واشتغل فيه بالطلب وقراءة الفقه على مذهب
الإمام الأعظم. ومن شيوخه الشيخ محمد البسيوني البياني،

والشيخ أحمد الرفاعي الفيومي ، والشيخ عبد الرحمن البحرأوى ،
والشيخ عبد الله الدرستأوى ، والشيخ حسن الطويل .

وكان أكثر اشتغاله في المعقول على الشيخ حسن الطويل ، ولازم
صحبته وتخلق بأخلاقه ، وقرأ عليه بداره العلوم الحكمية والرياضية
فتلقى عنه شرح الهداية للمبيدي ، والطوابع ، وأكثر المقاصد
والمواقف ، وإشارات ابن سينا بالشروح لنصير الدين الطوسي
والإمام الرازي ، والمحاکمات ، وبعض كتاب النجاة لابن سينا
وأشكال التأسيس بشروحها في الهندسة . وتحرير أقليدس ، وفي
الهيئة شرح الجغميني ، وتذكرة نصير الدين الطوسي ، وفي الحساب
خلاصة بهاء الدين العاملي بشرح البورصاوى ، والمعونة ، وشرح
ابن الهائم وغيرها ، وفي المنطق القطب بحواشيه والمطالع والخبيصى
وإيساغوجى ، وغير ذلك من هذه العلوم .

وامتحن للعالمية والتدريس في ١٨ صفر سنة ١٢٩٣ وكان
مجلس الامتحان مكوّنا من الشيخ عبد الرحمن البحرأوى والشيخ
عبد القادر الرفاعي الحنفيين ، والشيخ أحمد شرف الدين المرصفي
والشيخ زين المرصفي الشافعيين ، والشيخ أحمد الرفاعي والشيخ
أحمد الجيزاوى المالكيين ، برئاسة شيخ الأزهر ومفتى الديار
المصرية الشيخ محمد المهدي العباسي ، فلما امتحنوه أعجبوا به
إعجابا شديدا لجودة تحصيله وشدة ذكائه فأجازوه ، إلا أنه أخرج

التدريس لسبب اشتغاله بتميم ما كان يقرؤه على شيخه الطويل .

ثم ابتدأ في القراءة بالأزهر سنة ١٢٩٦ فقرأ به الكتب المتداولة به وغيرها ، وتخرج عليه جمع من الأفاضل ، منهم السيد محمد شاكر والشيخ محمد حسنين العدوي ، والشيخ محمد بخاتي ، والشيخ سعيد الموجي ، والشيخ محمد الغريني ، والشيخ مصطفى سلطان وغيرهم .

ثم جعل مفتيا لديوان الأوقاف ، فكانت له اليد الطولى في إصلاحه ، وعاون من به على تحسين أموره بجودة عقله وحسن رأيه ، وحسبك أنه دخله وإيراده مائة وعشرون ألف دينار وخرج منه وإيراده يربو على المائتين . ثم نقل عضوا في المحكمة الشرعية الكبرى بالقاهرة ، ورأس المجلس العلى للنظر والفصل في القضايا الكبرى ، ثم انتدب للمحكمة العليا بعد ذلك فكانت له اليد الطولى في إصلاحها ، ومنع شهادات الزور ، وإصلاح حال المحامين ، وكانت وفاته في شوال سنة ١٣٢٤ (١) .

(١) في هامش الأصل بخط المؤلف : «و له ترجمة في المقتبس ج ١ ص ٥٥١
تراجع ٦٦ ، يريد مجلة كانت تصدر بهذا الاسم .

الشيخ محمد أبو الفتح الحنفي

مفتي الإسكندرية

ولد في أوائل القرن الثالث عشر، وطلب العلم بالأزهر على الشيخ الصاوي وغيره من شيوخ الوقت، ثم انتقل لرشيد وتزوج بها بنت السيد عباسي من مشهوري رشيد. وكان ملازما للشيخ محمد البناء الكبير، فلما انتقل الشيخ إلى إسكندرية انتقل المترجم معه وبقى بها وانتخب أميناً لفتاواها، وكان مفتياً إذ ذاك الشيخ الدويري، ثم لما مات الدويري تولى البناء الإفتاء، فنقل المترجم لمنصب آخر، ولما مات البناء تولى هو إفتاء الثغر وبقى به إلى أن مات، وكان له شغف زائد بجمع الكتب واقتناء نفائسها، حتى اجتمعت له خزانة نفيسة بيعت بعد موته بثمن بخس. وكان رأى بناته وزوجته إبقاءها فلم يرض ولده، فذهبت وتفرقت بعد ما عانى أبوه ما عانى في شرائها واستنساخها. وكان له ولع أيضا بجمع الساعات فجمع منها نوادر وطرفا بيعت بعد موته أيضا، ولم يترك شيئا من الحطام سوى دار باسكندرية كان يسكنها في أواخر أيامه.

وكانت وفاته يوم الإثنين سادس شهر صفر سنة ١٢٩٤

وودفن يوم الثلاثاء ، ورثاه الشيخ عبد الرحمن الأياري قاضي
اسكندرية بتصيدة مطلعها :

أهدى سيوف الدهر جرّدها الدهر

أم السنة الشهباء جفّ بها الزهر

ومن مؤلفاته : كتاب تبويب الأشباه والنظائر لابن نجيم ،

وشرع في كتاب آخر في الفقه لم يكمله .

وكانت له يد طولى في علم الميقات

وهو جدّ صاحبنا العالم الفاضل الشيخ حسن منصور لأمّته

ترجمة ابراهيم بك مرزوق

الشاعر

تلقى العلم بمدرسة الألسن ، وتخرج على ناظرها رفاة بك رافع الشهير ، فقرأ بهذه المدرسة النحو والصرف وباقي علومها وبرع في الفرنسية . وكان لرفاعة عناية خاصة في تلقين تلاميذه العربية والعلوم الأدبية ، وتدريبهم على نظم الشعر ، فكان للمترجم حظ من هذه الصناعة ، فنظم الشعر الجيد من المقطعات والقصائد اعتنى بجمعها بعده محمد سعيد بك ابن جعفر مظهر باشا سنة ١٢٨٧ في ديوان سماه « الدر البهي المنسوق ، بديوان إبراهيم بك مرزوق » وطبع بمصر

ولما أتم المترجم علومه بالمدرسة استخدم في ديوان كان يقال له (ديوان الهرجلات) وهو خاص ببيع الخيل والماشية التابعة للحكومة ، ثم نقل منه ناظرا للقلم الأفرنجي بالضبطية ، وفصل منه مدة عبده باشا ضابط مصر ، ثم عاد إليه بعد نحو ثلاث سنوات . وكانت مدة توليه لهذا القلم كثير المعاكسة للأفرنج . إذا وقع أحدهم في سجن الضبطية أو كانت له دعوى بها قلما كان يسلم من أذاته ، حتى ضج منه وكلاء الدول وأكثرها من الشكوى ،

فلم يكن يثبت عليه شيء عند التحقيق، والسبب في ذلك أنه كان يعتمد على إخوانه ومرؤوسيه بالضبطية على إيصال الأذى إليهم سرا، نكائية بهم لطغيانهم على الرعية، وتدرعهم بدروع الحمايات

وفي مدة وكالة إسماعيل باشا الخديو نقل المترجم معاونا بمجلس الأحكام، ثم لما تولى هذا الخديو على مصر أرسله ناظرا للقلم الأفرنجي بالخرطوم قاعدة بلاد السودان، فبقى إلى أن توفي بها سنة ١٢٨٣ .

وكان مربوع القامة، أبيض اللون، قد وخطه الشيب، ومات بعد ما تجاوز الستين. رحمه الله تعالى

زجزة الشيخ مصطفى سلام

النجارى

توفى والده وهو صغير، فتكفل به زوج أمه ورباه، فلما ترعرع مال للأدب، وقرض الشعر، فاتصل بالشيخ على الدرويش وتخرج عليه في النظم، واتصل بعد ذلك بأسرة المويلحى، ففتحوا له خانوتا بالتربعة لبيع الحرير فلم يصادفه النجاح. ثم جعل منشئاً بالوقائع المصرية، ولم يزل يكافح زمنه حتى اتصل بوالى مصر سعيد باشا، وصار شاعره وتقرب إليه ونال جوائز، فحسنت حاله، واجتمع بأكابر الدولة ومدحهم وداخلهم، فنال وجاهة وصار له شأن يذكر.

وجمع ما نظمته فى مدح سعيد باشا فى ديوان خاص. وهو الذى جمع ديوان أستاذه الدرويش، وسماه: «الإشعار» بحميد الأشعار.

زوجة الشيخ محمد شهاب الدين

المصرى الشاعر

شريف النسب ، اشتغل أولا بالقبانة ، ثم دخل المحكمة الشرعية
تلميذا للتعلم ، ومال للأدب ، ونظم الشعر ، وداخل الأعيان حتى
اتصل بعباس باشا والى مصر ، وتقرب إليه ومدحه بالقصائد
فأحبه وقرسه حتى صار كبير جلسائه وندمائه ، وجعل له فى كل
قصر من قصوره حجرة يبيت فيها الليلتين والثلاث إذا طلبه
للمجالسة والمناذمة ، وأفاض عليه من نعمه ، وقبل شفاعته حتى
صار له بذلك جاه طويل عريض . وله معه نوادر غريبة ، منها
أن المترجم كان جالساً فى حجراته مرة فى أحد القصور ، ومعه
بعض جلساء الوالى ينتظرون الإذن بالدخول إليه ، فقال فى عرض
كلامه : يقولون إن البغلة لا تحمل ، أفلا يكون ذلك بسبب رطوبات
أو ما أشبهها تعيق حملها ؟ وعند أفندينا أطباء كثيرون ، فلو أنه
أطال الله بقاءه أمر بعضهم بالبحث فى سبب هذه العلة وإزالتها ،
فلمست أشك فى أنها تحمل بعد ذلك . وأسرع بعض العيون ، فبلغ عباسا
باشا كلامه ، فجاءه بعد هنيهة أحد رجال القصر يقول له : يا أستاذ
يقول لك أفندينا إننا سنأمر الأطباء بما أشرت ، ولكن إذا لم

تحمل البغلة ماذا يكون ؟ فبهت القوم لنقل المجلس بهذه السرعة ،
إلا المترجم ، فإنه وقف وقال : بلغ أفندينا أن عبده شهابا له كذبتان
كل سنة أيام الباذنجان ، هذه إحداها
وكان رحمه الله رقيق المزاج ، أنيس المحضر ، لا يمل جلسه
من نوادره .

وتعلق بعلم الموسيقى فبرع فيه ، وأخذه عنه كثيرون ، وجمع
فيه كتابا «سماه سفينة الملك» وله ديوان شعر طبع بمصر ،
وكانت وفاته سنة ١٢٧٤

ترجمه

الشيخ على الليثي

سيّد الندماء (١)

كان في ابتداء أمره مقبلاً بمسجد الإمام الليثي ، وكان ينزل إلى الأزهري لطلب العلم ، ويعود للمبيت هناك ، وكان كريماً على فقره . ثم ورد على مصر الشيخ السنوسي الكبير قاصداً الحج ، فاتصل به ، وأخذ عنه الطريق وحج معه ، ولما عاد إلى مصر لم يفارقه . بل سافر معه إلى جنوب ، وأقام هناك مدة لم يفتأ فيها يطلب العلم ويستفيد ، ثم فارقه وعاد لمصر ، واتصل بأمر عباس باشا الوالي فجعلته شيخاً على مجلس دلائل الخيرات عندها . ثم اتصل أيضاً بالأمر أحمد باشا رفعت ابن إبراهيم باشا الكبير . فاعتقد فيه ، وأطلعته على خزانه كتب عنده ، فاطّلع على ما فيها واستفاد منها . وبسبب سفره إلى جهة المغرب اهتموه بمعرفة الزايرة والافاق . فلما تولى سعيد باشا على مصر ، أمر ضابط مصر عبده باشا بجمع من يأكلون أموال الناس بالباطل بهذه الخزعبلات ، ونصيهم إلى

(١) في هامش الأصل بخط المؤلف: (ولد سنة ١٢٣٦ هـ كما تحققت من بعض أفراد أسرته)

السودان ، فسيق المترجم معهم لما علق به من هذه التهمة ، فبقى في السودان إلى أن عفى عنه وعاد لمصر .

ولما تولى إسماعيل باشا على مصر تلاماً لنجم المترجم ، وبدأ سعه ، فاتصل به ، وقربه والشيخ عليا أبا النصر ، وجعلهما نديمين له كنديمي جذيمة ، وصار لا يصبر عنهما في مجالس أنسه ، فكانا إذا حضرا تلك المجالس أزاها الكلفة وتبسطا معه في القول والتندير ، فكانت لهما في ذلك من النوادر ما يملأ الأُسفار . وقد بلغ من شغفه بهما أن خصص لهما قاعة بديوانه يجلسان بها كأنهما من المستخدمين فيه . وحدث مرة أن أمر بكتابة ألواح على باب كل قاعة في الديوان ، ليُعرف من بها ، كقلم التشريفات ، وقلم التحريرات ونحوهما ، وسألها العامل عم يكتبه على قاعتهما ، فقال المترجم : اكتب عليها : إنما نطعمكم لوجه الله ! وبسبب تقرب المترجم من الخديو قصده الناس في الشفاعات عند الكبراء ، ونفع الله به خلقا كثيرا ، جزاه الله عن مسعاه خير جزاء .

ثم لما عزل الخديو ، وتولى ولده محمد توفيق باشا ، شغف أيضا بالمترجم وأحله محله من القبول . حتى كانت الفتنة العراقية وسفر الخديو إلى الإسكندرية ، فانضم المترجم إلى العراقيين اضطرارا أو اختيارا ، فلما عاد بعد الفتنة لم يؤاخذه ، وصفح عنه ، وقابله المترجم بقصيدة مطلعها :

كل حال لضده يتحوّل فالزم الصبر إذ عليه المعول
تبرأ فيها من الفتنة ، وأبان عذره في الانضمام إلى العرايين ،
وزاد بعد ذلك من الخديو قربا ، وخصوصا لما بنى قصره بحلوان
فانه كان إذا سافر إليه كل أسبوعين ، ركب من هناك سفينة بخارية
وذهب بها إلى ضيعة المترجم التي بشرق أطيح ، فيقيم عنده يوما
ويتغدى فيها ، وهو شيء لا يفعله مع غيره . ولهذا السبب اعتنى
المترجم بتلك الضيعة ، فغرس فيها البساتين والكروم ، وبنى قصرا
صغيرا لنزول الخديو وحرمه وحاشيته ، ولم يزل هذا شأنه معه
حتى مات الخديو ، فلم يكن له حظ مع ولده عباس باشا ، كما كان
مع أبيه وجده ، فجعل أكثر إقامته بتلك الضيعة ، يشتغل باستغلالها
ومطالمة كتبه ، فاذا حضر لمصر نزل بداره التي بجهة باب اللوق ،
فيقيم بها أياما . ثم يعود ، ولم يزل كذلك حتى اعتلت صحته وطال
مرضه أشهرا ، حتى توفاه الله إلى رحمته في يوم السبت ١٠ شعبان
سنة ١٣١٣ عن سن عالية ، وقد شبع من الأيام وشبعت منه ، ونال
من العز والجاه إلى مماته ما لم ينله غيره .

وكان رحمه الله آية في حسن المجالسة ، محببًا إلى القلوب ،
أديبا شاعرا ، حاضر الجواب ، فكه الحديث ، إذا عرفه إنسان تعلق
به ، وكره مفارقتة ، مع أنه كان دميم الصورة ، أطلس ، ليس في
وجهه إلا شارب خفيف ، وشعرات على ذقنه . ولما حضر لمصر

السلطان برغش ملك زنجبار ، ندبه الخديو إسماعيل باشا لمراقفته
ومجالسته ، فلأزمه مدة مقامه بالقاهرة ، وأعجب السلطان به إعجابا
شديدا ، ثم لما عاد لبلاده ، صار يتعهده بالرسائل والهدايا من العنبر
ونحوه كل سنة ، فيهدى هو بها أخصاءه وأصحابه . وكذلك ما كان
ينتج ببساتينه من غرائب الفاكهة ، وأصناف الأغانب النادرة ،
كان موقوفا جميعه على الهدايا لا يبيع منه شيئا . واقتنى خزانه كتب
نفيسة اجتمعت له بالإهداء والشراء والاستنساخ ، وغالى فيها ، وبذل
الأثمان العالیه ، فجلبت له من الآفاق ، وعرفه تجار الكتب
والوراقون فخصوه بكل نفيس منها ، ثم لما مات اقتسمها ورثته ،
وبقيت إلى الآن محبوسة تحت أيديهم لا ينتفع بها .

وكان أدباء مصر وفضلاؤها يقصدونه في تلك الضيعة ، فينزلهم
على الرحب والسعة ، ويطعمون عنده الأيام والأشهر ، وهو مقبل
عليهم بكرم خلقه ولطائفه ، ومحاضراته المستحسنة ، وقد يقيم
الإنسان عنده شهرا أو أكثر ، وهو يؤنسه كل يوم بحديث جديد
لا يعيده ، وبالجملة فقل أن يوجد مثله ، أو يجتمع لإنسان ما اجتمع له ،
مع الورع والتقوى ، خصوصا في أواخر أيامه . رحمه الله رحمة واسعة .

(١) زبجـة الشيخ احمد ولصبي

كان طالب علم فقير ، ثم تزوج بإحدى الموسرات ، فحسنت حاله ،
وفتح له حانوت طرايبش بالغورية، جعلها مجتمع الأدباء والشعراء ،
ولم ينجح في التجارة فتركها .
وأخذ الشيخ مصطفى سلامه النجارى معه في الوقائع
المصرية ، وجعل محررا ثانيا بها ، ثم فصل . وتقلبت به الأحوال ،
فاتصل بأسرة المويلجى . ثم بالشيخ على أبى النصر شاعر
الخدوي إسماعيل باشا ، فسعى له فى الاستخدام بنظارة المعارف ،
فلم يوفق .

وكان طلبه العلم على الشيخ منصور كسّاب وغيره من شيوخ
الوقت ، وتعلق بالأدب ، ونظم الشعر الجيد :

(١) فى هامش الأصل بخط المؤلف : (وفاته سنة ١٢٧٣ كما فى ص ٣٣٠

من ديوان الشيخ شهاب)

ترجمة الشيخ أحمد مفتاح

العالم الشاعر الناثر ، أحمد بن مفتاح بن هرون بن أبي النعاس ينتهي نسبه إلى عمار بضم العين المهملة وتحفيف الميم ، أحد العرب النازلين من الصفراء إلى أرض مصر حوالي القرن العاشر ، وبين أبي النعاس وعمار جدان أو ثلاثة ، ولما ورد عمار مصر قطن بأقليم منية ابن الخصيب في صعيد مصر ، وقامت بين عرب تلك الجهة منازعة أدت إلى مقاتلة ، كان لجد المترجم أبي النعاس اليد الطولى فيها ، ويقال إنه حضر بعض الوقائع بدون سلاح ، ولقوته أمسك جحشا صغيرا من رجليه وضرب به حتى مات الجحش

وقطن هرون الجد الأدنى للمترجم في بلدة على الشاطئ الغربي للنيل بأقليم المنية تابعة لبنى مزار ، أنشأها حسن بن عبد العزيز أحد أجداد المترجم من جهة والدته ، وهى بلدة صغيرة اشتهرت بين العامة باسم بنى عجيز محرفا عن أبى عزيز ، يعنون به حسن بن عبد العزيز مؤسسها ، على عادتهم فى تكنية الرجل باسم أبيه ، وما زال هرون المذكور بها حتى ولد له مفتاح أبو المترجم سنة ١٢٢٩ وكان فى هذه البلدة رجل اسمه على أبو محمد ، من أقارب والدة المترجم ، جعلته الحكومة شيخ المشايخ ، وهو لقب كان يطلق إذذاك

على من يحكم عدّة بلاد، وكان جأراً في معاملته، فاعتدى على أناس من أهل البلد بالضرب حتى أشرفوا على الهلاك، فاضطر بعض أهلها إلى الشكوى للمدير مستعينين بعلي أفندي الشريعي والد حسن باشا. وبعد اللتيا والتي ساعدوهم على الانفصال، فانفصلوا واختطوا بلدة أخرى شمالي أفي عزيز سنة ١٢٦٤ سموها نزلة عمرو، وانتقل إليها هرون بولده أبي المترجم، وبنى بها داراً كبيرة، وبقي بها حتى مات بعد أن أسن، وكان شديد الرأي يرجع إليه في المشكلات ثم سكن هذه البلدة بعد ولده مفتاح، وتزوج بها وأعقب جميع أولاده، وحج سنة ١٣٠٤ فأرخ حجّه ولده المترجم بقوله:

حجّ مفتاح أبي معتمرا

سنة ١٣٠٤

ومات سنة ١٣٠٨، وكان طويلاً خفيف اللحية، وقد وخطها الشيب، وكان اشتغاله بالزراعة دون غيرها، ويتحرى الحلال في كسبه، ويقول الحق ولو على نفسه، وتعلم القراءة والكتابة في الكبر ولم يجدهما، ولما وصل نعيه إلى ولده المترجم بالقاهرة رثاه على البديهة بقوله:

قضى والدي بالرغم مني وليتني
سبقت لأمر ساورتني غوائله
لقد عاش دهرًا لم يشبه بريّة
حياة سخيّ فاض بالقوم نائله

وقام بعبء الدين والفضل صادقا وما المرء إلا دينه وفضائله
عليه سلام كلما غاب كوكب وسالت من الجفن القريح هوامله
وكانت ولادة المترجم ليلة السبت الرابع من شعبان سنة ١٢٧٤
ونشأ بالبلدة المذكورة في حياة والده، وابتدأ القراءة على الشيخ
جاد المولى، فقرأ عليه القرآن وبعض المتون، ومكث بعدها نحو
ثلاث سنوات، ثم حضر إلى القاهرة سنة ١٢٨٩ لطلب العلم بالجامع
الأزهر، وتلقى عن شيوخ وقته، فقرأ النحو على الشيخ محمد
الشعبوني المغربي، والشيخ عرفه سالم السفطى، والشيخ عبد الله
الفيومي، والشيخ محمد البحيرى، والشيخ سالم البولاقى، والشيخ
محمد الإنباني، والفقهاء الحنفى على الشيخ عبد الرحمن السويسى،
والشيخ صالح قرقوش، وحضر بعض دروس الأستاذ الكبير
الشيخ محمد العباسى المهدي شيخ الجامع الأزهر ومفتى مصر إذذاك،
والبيان على الشيخ عرفة، والشيخ على الجنائى، والشيخ محمد
البحيرى، وآداب البحث على الشيخ محمد البحيرى المذكور،
والمنطق على الشيخ محمد عبده، والشيخ أحمد أبى خطوة، والشيخ
سالم البولاقى، والشيخ محمد البحيرى، والعروض على الشيخ محمد
موسى البجيرمى

وفى أثناء مجاورته كان مسافرا من بلدته إلى القاهرة فى
سفينة كبيرة أيام زيادة النيل، ونزل يغتسل على سكان السفينة مع

جماعة فأنحدر مع الماء في وسط النيل ، وتبعه أحد المغتسلين لإنقاذ
فما زال سابحا حتى كلت سواعده وكاد يغرق ، ثم نجا وخرج على
الشاطئ الغربي للنيل وأرسل له من بالسفينة زورقا وصل به إليها
وسافر مرة من القاهرة عائدا إلى بلده في سفينة ، فتشاحن م
ربانها تشاحنا أدى إلى إخراجه منها ، فخرج إلى بلدة يقال لها الرقة
بأقليم بني سويف ، ولا يملك شروى فقير ، سوى كتاب مخطوطة
رهنة في أجرة القطار لبلده وله نوادر كثيرة أمثال ذلك من المشي
على القدمين مسافات بعيدة ، والمبيت على الطوى في كل غدوة ووروح
بين القاهرة وبلده

وبعد أن قضى سبع سنوات بالأزهر مجدا في طلب العلم
ومباحثة الشيوخ ، عاد إلى بلده ومكث بها نحو سنتين مشتغلا بحفظ
الشعر ونظمه ، ولم يكن له بالأزهر كبير عناية به لانصراده
إلى تحصيل العلوم . ثم حضر إلى القاهرة ، ودخل مدرسة دار العلوم
سنة ١٢٩٨ فأعاد بها معظم العلوم العربية مع الجزء الأول من تاريخ
ابن خلدون المشهور بالمقدمة على الشيخ حسين المرصفي ، ثم خلفه
في تدريس اللغة العربية شيخنا الشيخ حسن الطويل فتملقى عنه بعض
المثل السائر ، ورسالة ابن زيدون الهجوية ، والزوراء للجلال الدواني
في الحكمة ، وانتفع به كثيرا ، وقال فيه وفي الأستاذ المرصفي :
دار العلوم شكت فراق أبي الهدى المرصفي الخبر أوحد ذا الزم

فأجبتها حسن المعارف بعده لا تجزعي إن الحسين أخو الحسن
وتلقى التفسير والحديث بالمدرسة عن الشيخ أحمد شرف الدين
المرصفي، والفقہ الحنفي عن الشيخ حسونة النواوي، والعلوم
الطبيعية والرياضية على أساتذة آخرين بالمدرسة، ثم خرج منها
بعد أن نال الشهادة الدالة على براعته سنة ١٣٠٢، فقال بعد مفارقتة
المدرسة مضمنا:

دار العلوم نثرت نظم أحبة كانوا بدورا في سماء علاك
حتى بآلي عهدي بهم وتغيروا يادار غيرك البلى ومحاك
واشتغل بعد خروجه من المدرسة بالكتابة في صحف الأخبار
كالأعلام والقاهرة، وبالتدريس لبعض أناس منهم السيد توفيق
البكري، ولما اتصل به حستن له خلع العمامة والجبّة وإبدالها
بالملابس الأفرنجية والطربوش، ثم فارقه واستخدم كاتباً بمحكمة
بنى سويف الأهلية نحو عشرة أشهر، ثم انفصل وورد القاهرة
فكتب في المؤيد أياما قليلة، ثم امتحن للدخول بمدرسة دار العلوم
مدرسا للإيلاء فحاز قصب السبق وعاد للعمامة والجبّة، وأقام بها
تسع سنين انتفع فيها الطلبة وتخرج عليه كثيرون ممن يحسنون
الكتابة الآن، ثم نقلوه بعد ذلك مدرسا للنحو بالمدارس الابتدائية
في الأقاليم، فحطوا من درجته إلا أنهم أبقوا له مرتبه. وكان
أخيرا بمدرسة بنى سويف ومرض بها فأحيل على المعاش واختار

السكنى بالقاهرة، وابتغى مكانا يعتزل فيه الخلق ويشتغل بالمطالعة وإتمام بعض تأليفه، فاختر مصر الجديدة واكثرى بهادار صغيرة أقام فيها بمفرده مع خادم مسن كان يقضى له حاجاته من السوق، ويقوم بتنظيف المسكن، وكان الشيخ مريضا بمرض يعرف عند الأطباء بتصلب الشرايين وهو لا يعلم بأمره ولا يهتم بنفسه، حتى اشتد عليه أخيرا وهو يظنه ضيفا مرتحلا، ثم تركه الخادم وعاد لبلده، فبقي وحيدا بالدار حتى أدركه أجله المحتوم فجأة والأبواب مغلقة عليه. وبقي أياما لا يعلم به أحد، حتى ظهرت رائحته للجيران فأخبروا رجال الشرطة فحضروا وكسروا الأقفال فألفوه مائلا في سريره، وجزء من كتاب الأغاني ملقى بجانبه، وكان ذلك يوم الأحد ٢٨ المحرم سنة ١٣٢٩، وقرر الطيب أنه مضى على وفاته ثلاثة عشر يوما، فنقلوه ودفنوه. تغمده الله برحمته

ولم يكن اشتغاله بالعلوم على السواء، بل كان جلّ اعتناؤه بمتن اللغة والشعر والنثر، فحفظ من اللغة مقدارا وافيا من الغريب وغيره، وكلف بتصحيح شرح القاموس عند طبعه برمته في المرة الثانية. وكان اشتغاله بالشعر في الأزهر قليلا كما قدمنا، ولم يبرع فيه إلا عند دخوله دار العلوم طالبا، وقد أرنّخ أول إجادته فيه بقوله:

أقول الشعر عن فكر سليم ١٢٩٨

ونظم بعد ذلك القصائد المتينة، والمقطعات السمينة . وكان ينهج فيها منهج العرب لكثرة نظره في دواوينها واقتناء الكثير منها استنساخاً أو نسخاً بيده، ولو تم له الخيال الشعري كما تمت له الديباجة وجزالة الألفاظ لكان أشعر أهل زمانه بلا منازع . ولما عاد الأمير محمود سامي باشا أشعر شعراء العصر من منفاه بسيلان، وكان بعيد العهد بشعراء مصر ومن حدث منهم لم يعجبه إلا شعر المترجم في رصانة البناء وسلامة التراكيب، وأماثره فتوأم شعره في الأسلوب العربي، وكان مولعاً بالتضمين فيه من شطر عربي أو مثل سائر، لا تكاد تخلو قطعة منه من ذلك .

وقد ترك من التأليف « رفع اللثام، عن أسماء الضرغام » جمع فيه ما ينيف على خمسمائة اسم للأسد، طبع بمصر، و « مفتاح الأفكار، في النثر المختار » جمع فيه من مختار النثر من رسائل وخطب من الجاهلية إلى هذا العصر، وهو كتاب جليل الفائدة، طبع بمصر أيضاً، و « مفتاح الأفكار، في الشعر المختار » جمع به مختار الشعر من الجاهلية إلى عصرنا هذا، لم يطبع ولم نطلع عليه، وله ديوان حماسة من شعر العرب استدرك به على أبي تمام ما فاتته، و « مفتاح الإنشاء » لم يكمله، وأخذ في أواخر أيامه في جمع شعره ونثره وترتيبه في ديوان، ولا أدري ما فعل الدهر به . وكان رحمه الله غريب الأطوار، سريع الغضب سريع الرضا،

مع صفاء الباطن ، له شذوذ في أخلاقه يتحمله من عرفه وعاشره ،
أسمر اللون ، أسود اللحية والشاربين كبيرهما ، أميل إلى الطول ،
له هزة وتبختر في مشيته لمرض كان أصابه في ظهره ورجليه ، ولما
انتقل إلى مدارس الأقاليم صار يحضر إلى القاهرة في فترات فينزل
عندنا ، ويجتمع به إخوانه وأصدقاؤه في ليال كنا نحياها بالمطارات
الأدبية وإنشاد الأشعار .

ومات ولم يعقب غير بنتين زوجها في حياته . ومن شعره قوله
يرثي صديقه محمد بك بيرم ابن الشيخ بيرم التونسي ويعزى أخويه :

لقد مات في سن الثلاثين بيرم فان كان قول فالرثاء المقدم
مضى سابقا سبق الجواد إلى المدى ولا يدرك الغايات إلا المطمئن
ففي كان مثل السيف يفري قرابه ويعجب منه الناظر المتوسم
ففي كان في حاله للمجد كاسبا كباد يرود العشب أو يتجرثم
ففي كان مثل الليث طلاع أنجد وكالفجل يحمى شوله وهو مكرم
فما بال هذا الفجل تقدع أنفه ولم ذل ذاك الضيغم المتأجم
وقد كان يرعى عهده وجواره فلا العهد منقوض ولا الجار مسلم
وقد كان مأوى لليتامى يظلمهم إذا السنة الشهباء ظلت تجهم
وكان ذوو الحاجات منه بنجوة إذا ساقهم سيل من الذل مفعم
وما كان مجزاعا إذ الخطب عظه ولا وكلا يغشاه ما ليس يعلم
ولكن أخو جأش وحزم كلاهما أبر من السيف الجراز وأحكم

أنفن فلم يفرع ذراهن أعصم
زبي يتقيها الصاعد المتجشم
وأوفر حلياً والظنون شرّجّم
هي القطر يتلوه من الغيث مسجّم
قصارى المطايا أن يقيم المسلم
من البين ركب لا يريم مخيم
سجيس الليالي أو يؤوب المثلم
يد الدهر واستهوتته دهياء صيلم
إذا زاغ ظلام وصاح مظلم
طغت برمة أو مر جل يتهزم
على ظماً والقلب حران أهيم
ألا إمام عهد المنايا مُصرّم
إذا خفر ضوي واستحال يللم
وسهم المنايا في المقاتل محكم
ولا ذاد عنه عرفه وهو عيلم
تفارق نهب بين قوم يقسم
كأه لها قرع الظنايب مغنم
أسود شرى أظفارها لا تقلم
تداعت لمأتاه زبيد وخشم

وما الطود ممنوع الدرّى هضياته
بنت فوقه الأسد الضواري على الطوى
بأثبت وكنا منه يوم عظيمة
تسئم في عقباه متنى وظيفة
وسلم تسليم البشاشة جاعلا
فما كان إلا أن أناخ ببابه
فودع توديع امرئ غير راجع
لييك عليه ضارع طوحت به
يذكرنيه الخير والشر دأبا
وتعتادنى ذكراه للضيف كلما
فقدناه فقد الروض ماء غمامة
فهل عهده العهد الذي هو راجع
وهل حله يوم القيامة حله
رمته شعوب فاتقاها بصوره
فلم يغن عنه فكره وهو صارم
عقل على تلك الحياة فانها
فلو كان رد الموت استطاع لا نبرت
إذا الشبر أبدي ناجذيه جبتهم
ولكنه الموت الزوام إذا عدا

متى يرم أشلاء العشيرة أغمضت
وليت المنايا أخطأته وصادفت
لهم سيرة في سوء شتى فعالها
وعما قليل يزجر الدهر طيرهم
ويطوون طى الثوب أخلقه البلى
فيارا كعب السوداء في البحر ترمى
تمر كما مرت نعاج تعسفت
تسير فلا تلوى على ابن طريقة
إذا أنت ألقى الرحال بتونس
لهم أول في السابقين وهضبة
هنالك فانزل عزهم بمحمد
وقل غاب من ترجون فضل إيا به
هنالك تلتقى الخيل حطت سروجها
وتلفى عذارى الحى شقت جيوبها
وكنتم ثلاثا فرق الدهر بينكم
نعم إن ذاك السر ما زال فيكما
خذا بيد الصبر الجميل فانه
ولا تحفلا للحنن يغشى فانما
ودوما على الأيام عنوان راحل

حذام ولم يغن النطاسى حذيم
عدى يبتغون الشر إما تيمموا
ومن ذا يعانى سوء إلا المذمم
فيغدو سنيحا وهو بالموت أشأم
على غرة والدهر عرس ومأتم
على صفحات الماء والبحر خضرم
رمال الفلا واليوم ضحيان يبسم
وترسو كما ذاق الغرار المهوم
لدى معشر في نبرة الحى خيموا
من العز شماء الذرى لا تسنم
وقل له دمع يراق معندم
فليس لشيء آخر الدهر يقدم
وخر لمنعاه البناء المهندم
عليه ودقت بينها العطر منشم
كأنكم اسم فى النداء مرخم
ولا عجب فالحرف فى الحرف مدغم
هو السيف لا ينبو ولا يتشم
رسوم الأسي قفر لمن يتردم
طوته النوى طى الكتاب فيختم

بيان

توجدت هذه التراجم في دفتر بخط العلامة الكبير أحمد تيمور باشا، نور الله ضريحه. والدفتر كبير بائن الطول، ناصل الورق من أثر السنين، والمكتوب منه نحو ^{خمسة} . فقد بدأ المؤلف الكتابة فيه منذ صباه، وسرد التراجم بغير ترتيب، وربما أرسلها بترتيب حصوله على المعلومات، واستيفائه أخبار المترجم لهم

ويلاحظ أن من التراجم ما هو قصير، ولا سيما بعض ما جاء في أخريات الأوراق. وهذا مع أن المترجم له قد يكون ممن تنفسح فيه مذاهب القول. وقد راعى المؤلف ذلك، فترك مواضع لمن أوجز ترجمتهم، عسى أن يستلحق فيها ما فات، ويكمل ما نقص، ولكن المواضع ظلت على حالها فارغة

ولم يستوعب المؤلف أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر، وفاء بحق العنوان. والقول بأن أصحاب هذه التراجم صفوة الأعيان، مما لا يرتاح إليه المؤرخ. فقد عرفت هذه الحقبة رجالا لم تكن شهرتهم في فروع العلم والأدب أخفى من شهرة الذين ترجم لهم في هذه الأوراق

وليس من تأويل للايجاز الشديد في بعض هؤلاء المترجمين وقلة عددهم جميعا، إلا ما يؤيده عارفو الفقيده من أنه كان ينتوى المضى

في إتمام كتابه على الوجه الشامل . ثم خشي ألا يستطيع الصراحة في
ترجمة من كانت له بهم أو ما تزال لأسرهم به صلوات مودة ملحوظة
الجانب . وبلغه مع هذا اعتبار ممن لم يرضوا عما جاء في تراجم ذوى
قرباهم . فلم يملك لذلك كله إلا أن يطوى دفتره ، فلا يرجع إليه ،
وأن يؤثر من الصمت ما هو الأشبه بكرمه وكرامته .

وقد عينا ونحن نقدم هذه الأوراق للطبع ، أن نتابع ما كتب
المؤلف حرفاً بحرف ، وألا نغير من عبارته ما عسى أن يكون قد سبق به
القلم ، مما لورجع إليه المؤلف لغيره . وإنما حرصنا على ذلك ليخرج
الكتاب مرآة لمخطوطته ، فلا بد للمنصف أن يضع نصب عينيه
أن النسخة لم تكتب مرة أخرى في حياة صاحبها بعد مراجعته
وتحريره ، ليجلوها من بعد على الناس .

فأما قيمة الكتاب ، فهي كما يرى القارىء ، فيما حوى من تراجم
نفيسة لأعلام تمخض عنهم عصرهم ، ولم تعرف ناشتتاً من حديث
الكثير منهم إلا ما تنفس به مجالس العلماء إذا شهدوا الكهول .
وسيعظم قدر هذه التراجم كلها تراخت بها الأيام .

وقد رأينا أن نختم الكتاب بترجمة موجزة لمؤلفه ، كتبها
الأستاذ حسن عبد الوهاب ، وهما هي ذى :

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

أحمد تيمور باشا

والده المرحوم إسماعيل باشا ابن محمد كاشف تيمور ابن إسماعيل ،
تقلب في الوظائف الكبيرة إلى أن كان رئيسًا للديوان الخديوي
في عهد المغفور له إسماعيل باشا .

جده محمد كاشف تيمور كان ضابطاً في جيش محمد علي ، وساعده
على إبادة دولة المماليك ، وترقى حتى كان والياً على الحجاز وتوفي
سنة ١٢٦٢ هـ - ١٨٤٧ م .

مولده

ولد في ٢٢ شعبان سنة ١٢٨٨ هـ ١٨٧١ م ، وقد تلقى دروسه
الأولية على مدرسين خصوصيين ، ثم تلقى اللغة العربية على المرحوم
العلامة الشيخ رضوان محمد العالم الشهير في علمي القراءات والرسم
ودرس اللغة الفرنسية بمدرسة كبير وعلى الأستاذ عبيد بك
حتى نبغ فيها مع نبوغه في اللغتين التركية والفارسية

وتلقى علم المنطق وعلوم أخرى على الأستاذ الكبير الشيخ
حسن الطويل ، ثم تلقى علم اللغة على اللغوي الثقة الشنقيطي الكبير
فحضر عليه شرح المعلقات وغيره ، فكان يذهب إليه الفقيه في

منزله ويتلقى الدرس عليه وهو جالس ، فكان حينما يشعر بالهم ويبدل رجلا بأخرى، يقول له : لا تتألم يا أحمد، فقد كنا نقطع بالراحة شهورا وراء البحث والاستقصاء عن مسألة علمية .

وظل مثابراً على الدرس ومجالسة العلماء والأخذ عنهم حتى أصبح الحجة في اللغة بعد الشنقيطي في عصره ، والوحيد بعده .

ناديه بسرأي درب سعادة

يرى السائر الآن في شارع درب سعادة بجوار مسجد آسنبغا فضاء كبيرا هو سرأي تيمور ، وقد كانت منتدى يؤمه شيوخ الأدب واللغة في القاهرة للبحث والمناقشة في المواد العلمية والأدبية أمثال المرحومين الشيخ أحمد مفتاح والعلامة الشيخ طاهر الجزائري الحجة الثقة في المؤلفات العربية ، والمرحوم الشيخ محمد عبده ، ويحي أفندي الأفغانى ، وأصدقاؤه الأجلاء السيد رافع والسيد محمد البلاوى والشيخ حسن منصور والشيخ محمد شاكر ، وغيرهم كثيرون ممن يضيق المقام عن سرد أسمائهم .

وقصارى القول أن تلك الدار كانت كعبة العلماء والأدباء في مصر والأقطار العربية . وما كتبه في الصحف والمجلات من مباحث علمية وتنقيب عن حضارة العرب بأسلوب شيق وتمحيص للحقائق، أكبر دليل على ماله من أدب ونظر سديد فيما يعانیه من الأبحاث . وقد جمع خزانة كتب هي مفخرة مصر بل والشرق .

بدأ في تكوين خزانته سنة ١٣١٩هـ (١٩٠١ م) وقد كان لديه نواة صغيرة لها من جمعه أيضا، وظل طوال تلك السنين ينقب عن النوادير من المخطوطات القيمة ويشتريها بأغلى الأثمان حتى اجتمعت لديه نوادر ريندر وجود مثلها في خزائن أخرى بل انفردت بتحف كثيرة ويبلغ عدد كتبها ١٥٠٠٠ كتاب في نحو ٢٠٠٠٠ مجلد غالبيتها خط، جميعها مجلدة تجليدا متقنا، واستنسخ في عهده الأخير مجموعة صالحة من مكاتب أوروبا بالفوتوغرافيا. وبها القليل من المؤلفات الفرنسية والإنجليزية مما له علاقة بحضارة العرب أو تاريخ مصر ونشرات المجمع العلمي الفرنسي

وتمتاز هذه المكتبة بوفرة كتبها الخطية وخاصة في التاريخ واللغة، ولعل القارئ يعجب إذا أكدت له أن هذا العدد من الكتب قد اطلع عليه رحمه الله وعلق عليه ملاحظات له، ما بين وفاة مؤلف أو بيان ذبول وضعت على الكتاب، أو الإشارة إلى قوة المؤلف والاعتماد عليه في النقل. هذا ما يتعلق بالكتب المطبوعة.

أما الكتب الخطية وهي أكبر قسم فيها، فقد استنفدت منه مجهودا لا يقدر عليه أشخاص. ومن يطلع على جميع الكتب الخطية يجدها مبتدأة بترجمة المؤلف ومنمرة، ثم فهرس بالتراجم الواردة فيه والموضوعات المهمة وآخر بأسماء البلدان والأماكن

وبيان الكتب الواردة فيه ، ومن حبه للعلم ومساعدته على نشره ،
لم يبخل على من أراد طبع بعض هذه الكتب بالترخيص له بالطبع
مع فهارسه ، وهذا مشاهد في كتاب الطالع السعيد للأدقوى المطبوع
سنة ١٩١٤ فانه محلي بالفهارس التي أشرت إليها ، وكما حصل أخيرا
من إعطائه مفتاح الخزانة . وهو مجموعة الفهارس التي وضعها
لكتاب الخزانة للبغدادي إلى المطبعة السلفية لدرجها في الطبعة
الجديدة وفعلا طبعتها ، وأمثال هذا كثير

ومن اللطيف في هذه المكتبة تدقيقه رحمه الله في انتقاء كتبها
فاذا اطلع مطلع على نسختين من كتاب ، فلا بد وأن يكون هناك فرق
بينهما ، كأن تكون هذه كتبت في عصر المؤلف أو قرئت عليه ،
والأخرى طبعت بمصر أو أوروبا أو الهند
أما المجموع الخطية فقد وضع لها فهارس بمشتملاتها ، وكل
هذا المنجود بخطه

وكثيرا ما أعار المكاتب والمستشرقين أو استنسخ لهم لحسابه
هدية منه ، كما أنه أعار دار الكتب الملكية بعض نفائس خزانته
لتصوير نسخ منها ، مثل الأجزاء التي كانت تنقصها من كتاب عيون
التواريخ لابن شاكر الكتبي ، وما لديه منه بخط المؤلف ، وأخيرا
أعارها الجزأين الأول والسابع من كتاب الضوء اللامع للسخاوي
وتاريخ ابن الفرات الذي استنسخه من فينا بالفوتوغرافيا ، وسمح

لدار بتصوير الفهارس التي وضعها لكل جزء في أوله ، وعدد أجزائه
سبعة عشر جزءاً .

أما النفايس التي امتازت بها المكتبة فكثيرة ولا تسعها تلك
العجالة ، ومن مميزات تلك المكتبة النادرة وجود تواريخ مئات من
أكابر العلماء في القرن السادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر
الهجري ، وقد حصرها جميعها ، وبعد وفاته رحمه الله أهديت مكتبته
إلى دار الكتب المصرية ، فأفردت لها مكانا خاصا بها .

مقالاته ومؤلفاته

كان رحمه الله دقيقا في البحث والتمحيص ، وقد نشر مقالات
كثيرة في المؤيد والضياء والمقتطف والمقطم والأهرام والهلل
والهندسة والزهراء والهداية الإسلامية ، وكلها في حضارة العرب
وتحقيقات تاريخية

فمن مقالاته الممتعة « الخلافة والسلطنة » نشرت في المقطم
سنة ١٩٢٢ ومنها « المهندسون الاسلاميون » نشرت تباعا في السنة
الثانية ١٩٢٢ والثالثة ١٩٢٣ من مجلة الهندسة ، وأيضا خص تلك
المجلة بفصول قيمة من كتابه « التصوير عند العرب » فنشر منها
« التصوير على الجدران » في العدد الأول والعدد الثاني من السنة
الثامنة يناير وفبراير سنة ١٩٢٨ « التماثيل المتحركة والمصوتة » في

العدد ٣ و ٤ مارس وأبريل سنة ١٩٢٨ - وسبق أن نشر بمجلة الهلال الغراء مقالات عن التصوير عند العرب .

وقد انفردت مجلة الزهراء بنشر قسم كبير من مقالاته نذكر منها : بئر الثنيتين - حول تصحيح القاموس - شعر يزيد - دار ابن لقمان بالمنصورة - انتشار المذاهب الأربعة - الكرات العربية الأرضية والفلكية - الكتابات الدقيقة - غرائب أخرى في الكتابة - لقب الطواشي - الطربوش وتاريخه - وصف ساعة المدرسة المستنصرية - المشتبهى وتحقيق موضعه بالروضة .

ومن مقالاته التي كان يوافينا بها أخيرا (الآثار النبوية) خصر بها مجلة الهداية الإسلامية ونشر منها تسع مقالات في الأعداد محرم ، وربيع الثاني ، وجمادى الأولى ، وجمادى الآخرة ، ورجب وشعبان ، ورمضان ، وشوال ، وذى القعدة سنة ١٣٤٨ وظهر المقال العاشر في عدد الحجّة بعد وفاته رحمه الله ، تكلم فيه عن الآثار النبوية في الأقطار الإسلامية بأسهاب لم يسبق ، وتحقيق وتمحيص نادر ، وباقى هذا البحث معد للنشر أيضا .

وكلها مباحث تدل على سعة الاطلاع والتعمق في البحث ، بل هو خلاصة معلوماته وعصارة أفكاره وآثار تنقيبه في خلال السنين الماضية والحق أنها رسائل فريدة وليست بمقالات ، وذلك لغزار مادتها ودقة مباحثها التي لم تطرق من قبل .

هذه المؤلفات قسمان : ما نشر وما لم ينشر . أما ما نشر فهو
(١) تصحيح لسان العرب نشر القسم الأول منه سنة ١٣٣٤ هـ
(٢) القسم الثاني من تصحيح لسان العرب نشر سنة ١٣٤٣ هـ
(٣) تصحيح القاموس طبع سنة ١٣٤٣ هـ (٤) نظرة تاريخية في حدوث
المذاهب الأربعة وانتشارها طبعت سنة ١٣٤٤ (٥) رسالة في
الرتب والألقاب (٦) أبو العلاء المعري (٧) أعيان القرن الثالث
عشر وأوائل الرابع عشر (٨) اليزيدية (٩) تاريخ العلم العثماني
(١٠) قبر الإمام السيوطي وتحقيق موضعه (١١) لعب العرب
وأما ما لم ينشر ، فهو :

(١) التصوير عند العرب (٢) معجم اللغة العامية (٣) الإمثال
العامية (٤) معجم الفوائد ، وهو فرائد متناثرة لها شأن في مباحث
الأدب والتاريخ

في الساعة الرابعة من صبيحة يوم السبت ٢٧ ذى القعدة سنة
١٣٤٨ - ٢٦ إبريل سنة ١٩٣٠ انتقل إلى رحمة الله تعالى فانطوى
ذلك العلم الخفاق ، واندك ذلك الركن الركين ، وكان لنعيبه رنة
حزن وأسف جزعت لها القلوب وفاضت بالبكاء العيون إنا لله
وإنا إليه راجعون . وودفن وقت الغروب بمقبرة عائلته المجاورة لقبر
سيدنا الإمام الشافعي ، رحمه الله وطيب ثرى تربته

فهرس

صفحة	صفحة
٩٨	٣
ترجمة الشيخ مصطفى السفطى	ترجمة عبد الله نديم أفندى
١٠٣	٣١
ترجمة محمد أفندى أكمل	ترجمة سلطان باشا
١٢٠	٤٠
ترجمة الشيخ حسن الطويل	ترجمة مصطفى باشا الخزينة دار
المالكي	٥٦
١٣٠	الافغانى
ترجمة الشيخ أحمد أبى خطوة	ترجمة الشيخ محمد الاشونى
الحنفى	الشافعى
١٣٣	٥٣
ترجمة الشيخ محمد أبى الفتح	ترجمة الغازى أحمد مختار باشا
الحنفى مفتى الاسكندرية	٥٦
١٣٥	الحنفى
ترجمة إبراهيم بيك مرزوق	ترجمة الشيخ حسونة النواوى
الشاعر	٦٤
١٣٧	المالكي
ترجمة الشيخ مصطفى سلامة	ترجمة الشيخ أحمد الرفاعى
النجارى الشاعر	٦٧
١٣٨	ترجمة الشيخ محمد المهدي
ترجمة الشيخ محمد شهاب الدين	العباسى الحنفى
المصرى الشاعر	٨١
١٤٠	ترجمة السيد على البىلاوى
ترجمة الشيخ على الليثى سيد	المالكي
الندماء	٨٦
١٤٤	ترجمة الشيخ زين المرصفى
ترجمة الشيخ أحمد وهبى	الشافعى
الشاعر	٨٨
١٤٥	ترجمة الشيخ أحمد أبى الفرج
ترجمة الشيخ أحمد مفتاح	الدمهورى الشاعر
١٥٥	٩٦
بيان	ترجمة حسن أفندى عبد الباسط
١٥٧	المجوسى
ترجمة أحمد تيمور باشا مؤلف	
هذا الكتاب	